جامعة الجيلالي بونعامة خميس مليانة

كلية العلوم الإنسانية والإجتماعية.

قسم العلوم الإنسانية.

الحركة المهدية في السودان ودورها في مواجهة الحكم المصري البريطاني 1881م-1898م

مذكرة نيل شهادة ماستر في شعبة التاريخ تخصص:إفريقيا جنوب الصحراء

من إعداد الطالبتين:

1) سارة مهداوي.

2) صبرينة مداوي.

إشراف الأستاذ:

إبراهيم بتقة.

السنة الجامعية :2019/2018

بسم الله الرحمن الرحيم

شكر

الحمد والشكر لله رب العالمين الذي أعاننا على إكمال هذا العمل المتواضع، ثم الشكر الجزيل إلى الأستاذ المشرف"بتقة إبراهيم" لقبوله الإشراف على هذه المذكرة وعلى ملاحظته وتوجيهاته العلمية منذ بدء البحث إلى غاية هذه اللحظة وتزويدنا بالعديد من المراجع و المصادر.

كما يطيب لنا في هذا المقام أن أتقدم إلى كل أساتذتنا الكرام في تخصص إفريقيا جنوب الصحراء، الأستاذ نور الدين شعباني والأستاذ يوسف سليماني الذين لم يبخلوا علينا بتوجيهاتهم ونصائحهم ولا ننسى أيضاً أن نشكر كل من قدم لنا يد المساعدة من الأهل و الزملاء.

الإهداء

أهدي هذا الجهد المتواضع إلى قرة عيني ونور حياتي التي رافقت دعواتها دربي، إلى من سهرت الليالي حفظها الله وأطال في عمرها "أمي الغالية".

إلى أعظم رجل صبراً من أجلي وأهدى شق عمره ونور لي مستقبلي وأفنى حياته من أجل تعليمي إلى "أبي الغالي" حفظه الله.

إلى إخوتي الأعزاء ، عبد المالك، عادل، حكيمة، وإلى زملائي في الدراسة فايزة، كوثر، نانا ، شريفة، أمال، سهام، نوال فتيحة ، زوليخة، سلاف وإلى كل النفوس الطيبة التي وقفت إلى جانبي عبر مشواري الدراسي.

صبرينة

الإهداء

الحمد لله الذي وفقنا لهذا ولم نكن لنصل إليه لولا فضل الله علينا.

أهدي عملي المتواضع هذا إلى قرة عيني، إلى التي سهرت لتربيتي و تعليمي وتألمت لألمي إلى أعز مالدي في الكون "أمي أطال الله في عمرها"

إلى الذي لم يدخر جهداً لتربيتي، والذي لو عبرت الكلمات لن تعبر عما يحمله قلبي له أبي أطال الله في عمره.

إلى أخي و سندي عبد الرحمان وإلى خالتي وأختي الكبرى زهية وأختي العزيزة سميرة وإلى كل عائلتي حفظها الله ورعاها وإلى كل صديقاتي اللواتي أمضيت معهم أجمل أيام حياتي.

سارة

قائمة
المختصرات

قائمة المختصرات:

ص: صفحة.

تح: تحقيق.

ج: الجزء.

ط: الطبعة.

د.ن: دون طبعة.

د.د.ن: دون دار نشر.

د.س.ن: دون سنة نشر.

د.م.ن: دون مكان نشر.

ع: عدد.

P : page

E-D : édition

خطة الدراسة

الخطة

مقدمة

الفصل الأول: الأوضاع السائدة في السودان قُبيل الحركة المهدية.

لمحة تاريخية عن السودان.

1- تسمية السودان وموقعها.

2- المجموعات الإثنية في السودان

المبحث الأول: الأوضاع الاجتماعية.

3- العادات والتقاليد.

4- التعليم

المبحث الثاني: الأوضاع الإقتصادية.

1- الزراعة.

2- الثروات الحيوانية.

3- تجارة الرقيق.

4- نظام الظرائب.

المبحث الثالث: الأوضاع السياسية

1- تعين غوردون مديرًا لمديرية خط الاستواء 1874-1877م.

2- سياسة غوردون داخل منطقة مديرية خط الإستواء.

الفصل الثاني: إرهاصات ظهور الحركة المهدية في السودان.

المبحث الأول: لمحة عن شخصية محمد أحمد المهدي

1. مولده ونشأته.
2. تعريف بالحركة المهدية.

- إعلان ظهور المهدي في أغسطس من عام 1881م.
- علاقة المهدي بسلطات الخرطوم.
- الهجرة الى كردفان.

3. دعوته السرية والجهرية.
4- أفكار ومعتقدات المهدي.

المبحث الثاني: أسباب قيام الثورة المهدية.

1. العقيدة الدينية
2. الثورة العرابية
3. العنف.
4. الضرائب.
5. منع تجارة الرقيق.
6. المحاباة.

المبحث الثالث: وقائع الثورة.

1. واقعة أبا02 أوت 1881
2. واقعة راشدبك09 سبتمبر 1881م
3. معركة يوسف الشلالي29ماي 1882م.
4. حصار الأبيض وسقوطه جانفي 1883م.
5. حملة هكس.
6. أسباب نجاح الثورة المهدية.

الفصل الثالث: الحركة المهدية بعد وفاة مؤسسها أحمد المهدي.

المبحث الأول: سياسة غوردون لقمع حركة المهدي.

1- غوردون وسياسة إخلاء السودان.

2- حصار الخرطوم وسقوطها.

3- وفاة المهدي.

المبحث الثاني: عبد الله التعايشي خليفة لأحمد المهدي.

1- مولده ونشأته.

2- تولي عبد الله التعايشي الحكم.

3- أوضاع الدولة المهدية أثناء حكم الخليفة.

المبحث الثالث: الحركة المهدية في عهد الخليفة عبد الله التعايشي

1- الفتنة الداخلية.

2- الحروب الخارجية.

- مع مصر.
- مع الحبشة.
- مع إيطاليا.

3- حملة إعادة الغزو البريطاني المصري للسودان

الخاتمة

الملاحق

قائمة المصادر والمراجع

مقدمة

خضعت البلاد الواقعة جنوب مصر والمعروفة بالسودان اليوم إلى السيطرة المصرية خلال حكم"محمد على باشا" منذ سنة 1820، وأصبحت تعرف حينها بالسودان المصري، وإستمرت هذه السيطرة حتى نهاية القرن19م.

ونتيجة للظروف الإجتماعية والإقتصادية المتدهورة التي خلفتها سياسة الحكام المصريين، عرفت السودان دخول حركة ذات أصول دينية ساعد على إنتشارها هذه المساوئ والسخط العام الذي كان سائد ضد الولاة الذين كانوا يفرضون الضرائب الباهضة على الناس وتفشي الرشوة والظلم وسيطرة الإنجليز وسعيهم من أجل خدمة مصالحها أكثر من مصالح السودان.

كان السودان في فترة من الزمن يعاني من الضيق في العيش وسوء الأحوال، وقد كانت السودان مكونة في تلك الفترة من مجموعة القبائل المتفرقة وكان الإسلام صوفي هو سمة بارزة لأهل السودان، حيث بحث أهل السودان عن منقذ لهم، وكان الشخص البارز في تلك الفترة هو محمد أحمد المهدي والذي نشأ نشأة دينية فالتف السودانوين حوله وبايعوه فقام محمد أحمد المهدي صاحب الدعوة الإسلامية الإصلاحية بإشتعال الثورة ضد القوات الإنجليزية المصرية سنة 1881م، كما قام رجاله بدخول الخرطوم وقتلوا الحاكم الإنجليزي غوردون 1885م وفي هذه السنة توفي المهدي وخلفه عبد الله التعايشي فضعفت الحركة المقاومة في عهده وهنا قامت إنجلترا بالغزو مرة ثانية حتى نهاية سقوط هذه الحركة سنة 1898م وهذا هو موضوع بحثنا.

وعليه إخترنا موضوعنا هذا تحت عنوان: دور الحركة المهدية في السودان ومواجهة الحكم المصري البريطاني (1881-1898).

وتعود دوافع إختيارنا لهذا الموضوع إلى مايلي:

- ✓ رغبتنا في دراسة هذا الموضوع الذي يفرض أحداث تاريخية مهمة تستوجب الوقوف عليها.
- ✓ إكتساب مزيد من المعلومات حول هذه الحركة وتاريخ بلد السودان العريق.
- ✓ الرغبة في معرفة الظروف والأسباب التي ظهرت فيها الحركة المهدية.
- ✓ محاولة تسليط الضوء على فترة عزو الإنجليز السودان والتي غيرت تاريخ السودان.

وتكمن أهداف البحث التي نسعى إلى الوصول إليها فيما يلي:

- ✓ تقديم عمل ذو أهمية في مجال البحوث التاريخية الحديثة.
- ✓ محاولة إثراء المكتبة الجامعية بمعلومات حول دور هذه الحركة.
- ✓ التعرف على السياسة الإنجليزية المصرية من خلال هذه الحركة في السودان.
- ✓ الإسهام في تدوين وكتابة تاريخ السودان، وإبراز القيمة التاريخية لهذا الموضوع.

ولقد حددنا للموضوع الإشكالية: فيما يكمن دور الحركة المهدية في السودان في مواجهة الحكم المصري البريطاني وهل نجحت هذه الحركة أم لقيت الفشل؟

وتتدرج تحت هذه الإشكالية العديد من التساؤلات الفرعية التي سيتم الإجابة عليها من خلال فصول المذكرة وهي كالتالي:

ماهي الظروف التي سادت في بلاد السودان قبل دخول الحركة المهدية؟ وماهي أسباب بروزها؟ وكيف تحولت إلى ثورة وطنية ضد الحكم المصري والغزو الإنجليزي؟ وكيف كان تأثيرها على السودان؟

وقد إعتمدنا في دراستنا هذه على المنهج التاريخي الذي يتوافق مع الموضوع الذي يمكننا من تشخيص ووصف الأحداث للحركة المهدية وكذلك الإجابة على التساؤلات المطروحة.

وكذلك المنهج التحليل: من خلال تحليل النصوص ونقدها ومقارنتها للوصول إلى الحقيقة التاريخية حول الحركة المهدية

- الفصل الأول: الذي جاء تحت عنوان أوضاع السودان قبيل الحركة المهدية ويندرج هذا الفصل في مدخل فيه أصل تسمية السودان وأهم القبائل في السودان وتناول ثلاث مباحث يبين فيها أوضاع التي كان يعيشها أهل السودان والسياسة التي فرضت عليهم بالإضافة إلى تعين صباط أجانب مثل غوردون الذي عين مديراً لمديرية خط الإستواء في بلد السودان.
- الفصل الثاني: والذي كان عنوانه إرهاصات ظهور الحركة المهدية جاء بثلاث مباحث تناولنا فيه مولد ونشأة مؤسس هذه الحركة محمد أحمد المهدي والمعتقدات التي جاء بها بالإضافة إلى الأسباب المباشرة لقيام الثورة وأهم الوقائع والإنتصارات التي حققها في حملاته.
- الفصل الثالث: والذي حمل عنوان الحركة المهدية بعد وفاة مؤسسها وأدرجناه تحت ثلاث مباحث ذكر فيها سياسة الإخلاء في السودان ووفاة المهدي ومجيء بعده خليفة لتوليه الحكم كما تناولنا أهم الحروب التي قام بها الخليفة، ومن هنا أدت إلى إعادة الإنجليز غزو السودان مرة أخرى.

لإنجاز هذا الموضوع إعتمدنا على مجموعة من المصادر والمراجع أهمها:

- كتاب السودان بين يدي غوردون وكتشنر لمؤلفه إبراهيم فوزي باشا وتكمن أهمية هذا الكتاب أن مؤلفه يعد أول من رافق غوردون المجلد الأول، وصاحب الكتاب عايش ثورة محمد أحمد المهدي إلى غاية مقتل غوردون باشا.
- السودان عبر القرون لمكي شبيكة بإعتباره مصدراً ويدرس السودان منذ القديم إلى التاريخ المعاصر لسودان وثورة ضد الإستعمار البريطاني.
- تاريخ مديرية خط الإستواء لعمر طوسون، الجزء الأول و يعتبر مصدراً هاما يتحدث عن سياسة غوردون المنتهجة في التوسع والقضاء على تجارة الرقيق.
- كتاب تاريخ السودان لمؤلفه نعوم شقير الذي يعتبر من المؤلفين الذين عايشوا تلك الأوضاع فكتبوا عنها ويحتوي على الكثير من المعلومات الهانة في هذه الفترة .
- كتاب الإمام المهدي لمؤلفه محمد سعيد القدال وهو مرجع مهم درس الثورة المهدية.
- كتاب المقاومة الداخلية للحركة المهدية لمؤلفه محجوب مال وركز هذا الكتاب على المرحلة الأخيرة للثورة.

كما إعتمدنا على الدراسات السابقة من الرسائل والأطروحات مثل:

- الحركة المهدية في السودان عقيدتها وآثارها، مذكرة تخرج لشهادة الماجيستير،إعداد إبراهيم بن سليمان إعتمدنا عليها بإعتبارها مرجع ذو أهمية في الحركة المهدية.
- الثورة المهدية في السودان 1881م-1899م ، مذكرة تخرج لنيل شهادة الماستر، تخصص تاريخ معاصر، إعداد نفطي وافية.إعتمدنا عليها بإعتبارها مرجع ذو أهمية.

أما الصعوبات التي وجهناها لإنجاز هذا الموضوع نذكر منها.

ضيق الوقت المحدد لكتابة هذا الموضوع والعمل على دراسة جوانبه دراسة معمقة وشاملة، وكذلك أن المنطقة لم نملك عنها أي معلومات قبل البحث لتساعدنا في التقرب من الموضوع، أيضاً قلة المصادر والمراجع التي لا يخلو منه أي بحث لإنجازه.

وفي الختام لايسعنا إلا القول الحمد لله الذي لا يعب من دعائه شيء أن يسر لنا ما قصدنا وذلك بما أردنا.

الفصل الأول:

الأوضاع السائدة في السودان قبيل الحركة المهدية

الفصل الأول: الأوضاع السائدة في السودان قُبيل الحركة المهدية.

المبحث الأول: لمحة تاريخية عن السودان و أوضاعها الإجتماعية الاجتماعية.

1- لمحة تاريخية عن السودان

- المجموعات الاثنية في السودان

2- العادات والتقاليد.

3- التعليم

المبحث الثاني: الأوضاع الإقتصادية.

1- الزراعة.

2- الثروات الحيوانية.

3- تجارة الرقيق.

4- نظام الظرائب.

المبحث الثالث: الأوضاع السياسية

1- تعين غوردون مديرًا لمديرية خط الاستواء 1874-1877م.

2- سياسة غوردون داخل منطقة مديرية خط الإستواء.

تمهيد:

قبل دراسة ومعالجة دور الحركة المهدية في مواجهة الإحتلال البريطاني، كان يجب علينا أن نذكر الأوضاع العامة التي كانت مهدا لهذه الحركة وإنطلاقها، ومن هنا نتطرق إلى أصل تسمية السودان وموقعها الجغرافي، وأعطينا صورة إجتماعية وإقتصادية عامة عن البلاد، حيث عرفت في هذه الفترة تشجيع التعليم وإزدادت عدد المدارس، وحاول المجتمع السوداني في عهد الخديوي إسماعيل النهوض بالإقتصاد السوداني ومواكبة الإقتصاد المصري.

بالإضافة إلى الأوضاع السياسية التي إنعكست سلبا على أهل السودان، فقد فرضت عليهم ضرائب عالية وساءت الأحوال الإقتصادية، حيث إستعانت الحكومة بموظفين أجانب وعينتهم في مناصب عليا من أجل السيطرة على الأوضاع، ومن بينهم السيد "غوردون *Gordon*" الذي عين ضابطاً بموافقة الحكومة البريطانية في عام 1874م وأصبح مديرا لمديرية خط الإستواء، والذي عمل من أجل خدمة المصالح البريطانية أكثر في السودان المصري، وهو ما زاد في إحساس الأهالي السودانيين بالظلم الواقع عليهم فاستجابوا للدعوة المهدية منذ بدايتها وانظموا إليها.

المبحث الأول: لمحة تاريخية عن السودان و أوضاعها الإجتماعية الاجتماعية.

لمحة تاريخية عن السودان:

استوطن الإنسان في بلاد السودان منذ 5000 سنة ق.م، والسودان موطن للعديد من الحضارات القديمة، مثل مملكة كوش، مروة، نوباتاها، علوة، وغيرها، والتي ازدهرت معظمها على طول نهر النيل. وتداخل تاريخ السودان القديم مع تاريخ مصر الفرعونية على مدى فترات طويلة، لاسيما في عهد الأسرة الخامسة والعشرين السودانية (الفراعنة السود) التي حكمت مصر[1]. ومفردة السودان كلمة أطلقها العرب على كل البلاد الواقعة جنوبي مصر وجميع المناطق التي يسكنها السود حيث نسبوا المنطقة إلى سكانها ولون بشرتهم، حيث قامت ممالك السودان قبل الفتح الإسلامي وبعده[2].

1-موقع السودان:

تقع السودان في الشمال الشرقي للقارة الإفريقية، يحدها من الشرق البحر الأحمر ومن الشمال مصر ومن الغرب دولة التشاد، ومن الجنوب الغربي جمهورية إفريقيا الوسطى ومن الجنوب الشرقي إثيوبيا واريتريا. وليبيا من الشمال الغربي[3] ويحدها جنوبا أوغندا والكونغو الديموقراطية.

2-المجموعات الاثنية في السودان:

كان لموقع السودان أثر كبير في تشكيل بنيته البشرية، فقد شهد السودان على مدى التاريخ مجموعة من الهجرات لأجناس مختلفة، فالشمال يسوده العنصر القوقازي بينما في جهة الجنوب والغرب يسود العنصر الزنجي، وعن طريق ميناء السويس استقبلت جهته الشرقية هجرات متتابعة سامية وحامية[4].

النوبيون:

تعيش المجموعات القبلية النوبية في جنوب مصر وشمال السودان، وينقسمون إلى خمس مجموعات؛ ثلاثة منها في الدنقلة، والمحص، والسكوت، وينحدر النوبيون من العنصر الحامي ويظهر

---

[1] عمر عمر: **السودان تاريخ مضطرب ومستقبل غامض**، ط1 ، مكتبة التمدن، بيروت، 2009م ، ص 03.

[2] محمود شاكر: **السودان** المكتب الإسلامي، ط2، بيروت، 1981، ص 09.

[3] عمر عمر، المرجع السابق، ص 03.

[4] زينب الزبير الطيب: **دراسات سودانية**، جامعة الخرطوم ، د.ب، 2010م، ص 29.

ذلك في بعض السمات الفيزيولوجية مابين السمرة الخفيفة إلى الداكنة بسبب اختلاطهم بالعرب والأفارقة، ويتحدث النوبيون العربية إلى جانب لغاتهم المحلية[1].

الباجة:

يطلق هذا الاسم على أربعة بطون عشائرية تنتشر على مساحات كبيرة تبدأ من منحدرات الهضبة الأثيوبية جنوبا إلى أسوان المصرية شمالا ،الى غرب النيل الى البحر الاحمر شرقا، لقد احتفظ الباجة بلغتهم الأصلية التبداوية بجانب العربية[2].

البشرية:

يعيش البشارية في المنطقة الحدودية بين مصر والسودان وهم ينقسمون إلى قسمين؛ **بشارية أم علي** وهؤلاء يعيشون ما بين السودان والبحر الأحمر، **وبشرية أم ناجي** وهؤلاء يتمركزون في المنطقة بين عطيرة والجزء الشمالي الشرقي، ويشتغل معظمهم في رعي الابل والزراعة والتجارة[3].

الهدندوة:

تعتبر هذه القبائل الأكثر عددا من قبائل الباجة، حيث يشكلون الثلث تقريبا ويمتدون ما بين سواكر حتى سينار[4].

بنو عامر:

يرتكز موطن قبائل بنو عامر في منطقة خور بركة ودالتا، وهم يتميزون عن باقي قبائل الباجة حيث يتكلمون لغة تيجرة السامية، ويعيش الجزء الأكبر منهم في دولة إريتيريا كذلك. وتوجد مجموعة من بطون أخرى صغيرة والتي تعتبر من الباجة والاريتيجا ومن هنا نجد ان التوزيع الجغرافي لعشائر الباجا ترتكز بولاية كسالا ثم تأتي الولايات الشمالية في النيل الأزرق والخرطوم[5].

الفونـج:

لقد وفدت هذه القبائل إلى المنطقة منذ القرن 14 للميلاد، وجذبت منطقة الجزيرة وكردفان أعداد كبيرة منهم.

---

[1] حسن عبد الله : **السودان من التارخي القديم إلى البعثة المصرية**، ج1، مؤسسة هنداوي للتعليم و الثقافة، القاهرة، 2012، ص33.

[2] صلاح الدين علي الشامي: **السودان دراسات جغرافية**، دار المعارف، الإسكندرية، 2002، ص 213.

[3] عمر عمر، المرجع السابق، ص 6.

[4] المرجع نفسه ، ص 11.

[5] عمر عمر، المرجع السابق، ص ، 12-13.

قبائل دارفور:

ظهرت في المنطقة الغربية من جبال النوبة، مجموعات عربية من غرب كوردوفان ودارفور عرفوا باسم البقارة في المنطقة الجنوبية منها، أما في الشمال فعرفوا باسم لابالة وهؤلاء تغلب عليهم السمات القوقازية[1].

قبائل جنوب السودان:

عندما أراد علماء الإثنولوجيا دراسة قبائل جنوب السودان وجدوا صعوبات وتعقيدات عديدة لتحديد الأصول والأنساب بينها، فلجئوا إلى التصنيف اللغوي، وقسموا بذلك السكان في جنوب السودان إلى ثلاثة أقسام رئيسة هي:

النيليون: تتكون المجموعات القبلية النيلية من النوير، الشلك، البالاندا، الجور، والاتشوالى، واللانجو، وكانت تقع أراضي تلك القبائل في معظمها داخل حدود السودان.

النيليون الحاميون: القبائل النيلية تأتي في المركز الثاني من حيث العدد ضمن قبائل جنوب السودان، كما أنهم ينتشرون حتى خارج السودان ليصلوا إلى أواسط دول تانزنيا وأوغندا وكينيا وتنقسم لغتهم الى ثلاثة لهجات[2].

1-العادات والتقاليد:

- **المسكن:**

كان الشعب السوداني يتمتع بالبساطة الشديدة سواء في حياته أومسكنه، حيث كان يقوم ببناء مسكن خفيف يسهل نقله وبناءه وكانت تقع مسؤولية البناء على المرأة، ويتألف هذا المسكن في مجمله من الحصير أما السقف فمصنوع من هذه المادة أيضا، وكان السودانيون يقطنون في أماكن يسودها مناخ معتدل مع وفرة المياه[3].

2- أعراف الزواج:

من الأمور المشهورة عند المجتمع السوداني هو الزواج في السن المبكر سواء عند الذكور أو الإناث، كما كانت المهور في السودان إبان القرن التاسع عشر مرتفعة جدا، وهذا ما أدى إلى تدخل

---

[1] المرجع نفسه ، ص 14

[2] عمر عمر، المرجع السابق، ص 14.

[3] حمدنا الله مصطفى حسن: التطور الاقتصادي والاجتماعي في السودان 1831م-1881م، دار المعرفة، القاهرة 1985م، ص 375.

الحكمدارية لوضع حد لهذه المسألة، للتخفيض في المهور والحث على الزواج سعيا وراء زيادة عدد السكان في البلاد. وتجدر الإشارة إلى أن القبائل العربية للمجتمع السوداني تحترم النسب وتقدره كثيرا، حيث كانوا لا يزوجون بناتهم إلا لرجال شرفاء، ويفضلونهم على الرجال الأثرياء الذين ليس لهم نسب، وعند الاتفاق على المهر تكتب وثيقة للزوجين ثم يتم الإعلان عن زواجهما[1].

3- الاحتفال بالمولود:

إن المجتمع السوداني كغيره من المجتمعات العربية والإفريقية معروف في حياته الأسرية بكثرة الأطفال، والتي كان يميزها ميلاد الذكور بشكل أكثر عن الإناث، وهو ما كان يحتفل بهم أكثر حيث كانوا يوقدون النار أربعين يوما أمام منزل من يولد عنده ذكر، وفي عاداتهم أن الرجل لا يرى مولوده حتى بلوغ مدة ثلاثون يوما، وعقب الولادة بأسبوع يحتفل بتسمية الطفل بذبح شاة، ومن خلال هذا الاحتفال (السبوع) يختار اسم المولود الجديد.[2]

4-التعليم:

لم يكن عهد الخديوي إسماعيل أول عهد للتعليم في السودان فقط بل قاموا من قبل بإنشاء مدارس في الخرطوم لإنقاذ السودانيين بها من جحيم الجهل ولكي يكتسبوا العلوم والمعارف[3]، وأنشأ أهل العلم مكاتب يدرس فيها البنون والبنات وتحفيظ القرآن الكريم ومختلف المتون. كما قام الخديوي إسماعيل في زمن الحكمدارية[4] بإنشاء خمسة مدارس في عواصم المديريات وهي بربرة، الخرطوم، دنقلة[5]، والأبيض وكسلا، على غرار المدارس التي كانت آنذاك في مصر، وتسع كل واحدة منها نحو المائة تلميذ وبالتالي كان دورها نشر التعليم والعلوم والمعارف والحضارة في السودان[6].

---

[1] المرجع نفسه، ص 376.

[2] حمدنا الله مصطفى حسن: المرجع السابق، ص 386.

[3] أحمد عزة عبد الكريم: **تاريخ التعليم في مصر من نهاية حكم محمد علي إلى أوائل حكم توفي فاروق**،ج1، مكتبة مصر 222، مصر ، ص 137

[4] **الحكمدارية:** كانوا من أصل تركي أسوة بكبار ضباط الجيش المصري والوزراء أنفسهم وأصبحوا ضباط مصريين في الجيش المصري.أنظر: حسين عبد الله، المجرع السابق ، ص 161.

[5] **بربر:** اسم لإقليم من أقاليم السودان يحده جنوبا الخرطوم عند موضع اسمه حجر العسل وهو جبل صغير من مقاطعة دنقلة ومن الشرق إقليم كسلا، ومحافظة سواكل تسكنه قبائل البشارين والجعليين، أنظر فوزي باشا ابراهيم: السودان بين يدي غوردون كتشنر، ج1 إدارة جريدة المؤيد، الخرطوم السودان، 1897،ص 125.

[6] إلياس الأيوبي: تاريخ مصر في عهد الخديمي إسماعيل الباشا 1863-1879، د.ط، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة، ص 171.

لقد اهتم إسماعيل باشا ببناء المساجد والمدارس القرآنية وسعى لتموينها بتقديم المعونات والمساعدات المتنوعة ليستمر عملها، وقام بوضع أجرة للفقهاء والمعلمين وصلت إلى أربعمائة قرش شهريا. وقد أدت هذه المدارس النظامية خدمات عديدة للإدارة السودانية بأن مدتها بمختصين كثر في عديد الميادين والعلوم كالكتاب والمحاسبين وعمال التلغراف...إلخ، وبالتالي ساهمت في انتشار العلم والمعرفة في المجتمع وبالنهوض بالثقافة والأدب في السودان، بينما كان العلم قبلها مقصورا على الخلاوي القرآنية (الكتاتيب) والعلوم الشرعية[1].

إهتمت الإدارة المصرية إضافة للتعليم بالجانب الصحي في المجتمع السوداني، حيث أنه أصبح في كل عاصمة مديرية وفق المرسوم الذي يصدر من مديريات السودان مستشفى، وزودت الأقسام الداخلية من هذه المستشفيات بمختلف التجهيزات الضرورية[2]. لكن في عهد الخديوي إسماعيل[3] ومع مجيء الموظفين الأوروبيين الذين تولوا مناصب إدارية وعسكرية، انتشرت مظاهر الفساد الأخلاقي وعمت المفاسد الاجتماعية، وهي رذائل دخيلة على عادات وتقاليد ومعتقدات أهل السودان، روج لها أصحاب الحركات التبشيرية المسيحية التي كانت تصل إلى المنطقة بموافقة من حكام القاهرة، وعلى الرغم من أن أهل السودان لم يكونوا راضين على هذه البعثات والإرساليات، إلا أن هذه الجماعات النصرانية كانت تبنى وتعمر الكنائس في المدن، وتنشئ الكنائس خاصة في الأماكن التي ينشط فيها رجال الطرق الصوفية الذين يسعون إلى نشر الإسلام وتعاليمه[4].

المبحث الثاني: الأوضاع الاقتصادية.

الزراعة:

شغل موضوع الزراعة السودانية في القرن التاسع عشر مسؤولين بمصر والسودان للنهوض بالاقتصاد السوداني على عتبات العصر الحديث ومواكبة الاقتصاد المصري، حيث كانت أراضي

---

[1] مكي شبيكة : **السودان عبر القرون**. دار الجيل، بيروت، 1991م، ص 171-182.

[2] عبد الله عبد الرزاق إبراهيم: شوقي عطاء الله الجمل: **تاريخ مصر والسودان الحديث والمعاصر**. دار الثقافة ،القاهرة، 1997م، ص 217.

[3] **الخديوي اسماعيل:** هو ابن ابراهيم باشا ابن محمد علي باشا ولد في 31 ديسمبر 1830 في قصر المسافر بحي الجمالية بالقاهرة سافر إلى باريس عضو في البعثة المصرية المدرسية الخامسة. انظر حسن عبد الله: السودان من التاريخ القديم الى رحلة البعثة المصرية. مؤسسة لقهنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة، 2012م، ج1، ص 136.

[4] إبراهيم جاك جاك: "الحريات الدينية في دولة المهدية بالسودان"، **مجلة دراسات افريقية**، ع. 21، يونيو 1991م، ص، 30-31.

كثيرة صالحة للزراعة في السودان تتمركز على ضفاف نهر النيل، لا تجد من يخدمها نظرا لقلة الأيادي العاملة، ويمكن تقسيم الأراضي السودانية في تلك الفترة إلى مايلي:

1-الأراضي الخراجية:

هي الأراضي التي يمكن لصاحبها أن يقوم بزراعتها مقابل دفع ضريبة للحكومة وإن قصر صاحبها في أداءها فان الحكومة تمنحها لشخص آخر يستطيع زراعتها واستغلالها.

2-الأراضي الأبعادية:

كانت هناك أراضي خالية من الزراعة لم تكن في حوزة أحد، فقامت الحكومة بإعطائها للأفراد من أجل استغلالها بوسائل مختلفة وتشجيعهم من خلال إعفائهم من الضرائب مدة ثلاثة أعوام[1].

3-أراضي الرزق: منحت للراغبين في زراعة مساحات من الأراضي البور مقابل الخضوع للضريبة وشملت مناطق متنوعة في السودان مثل: كردفان ودنقلة وبربرة والجعليين وأقام فيها السودانيين تمهيدا للاستغلال.

4-أراضي الأوقاف:

وهي تلك الأراضي التي تبرع بها أصحابها وقفا لله لخدمة المساجد والمدارس وذلك تشجيعا لانتشار القيم الروحية الإنسانية.[2]

5-أراضي الحكومة:

هي الأراضي التي احتكرتها الحكومة لنفسها وقامت باستصلاحها وزراعتها لحسابها الخاص، وكانت هذه الأراضي تزرع بمحاصيل ذات نوعية خاصة والحكومة تتولى رعايتها.

لقد أصبحت السودان بلدا زراعيا ورعويا تختلف قيمة عائداته من منطقة إلى أخرى، حيث كانت المناطق الشمالية لا تقوم فيها الزراعة إلا على جوانب مجرى نهر النيل وتعتمد على الري بواسطة المضخات، أما في منطقة كردفان ودارفور فتعتمد على المطر وتقوم فيها زراعات بنسبة قليلة.

[1] حمدنا الله مصطفى حسن: المرجع السابق، ص 37.

[2] المرجع نفسه، ص 40.

المحاصيل الزراعية:

القطن:

لقد ازدهر القطن في عهد الخديوي إسماعيل ولا سيما في الجزء الشرقي منه، حيث تعد أراضي السودان خصبة وصالحة لزراعة منتوج القطن، والذي كان يزرع أكثر في سواكن وطوكرا وإقليم جزيرة وكسلا وفي مناطق أخرى مجاورة له، وتشكل عائداته نسبة 85% من صادرات البلاد ويعتبر محصول القطن من أهم المحاصيل الزراعية في السودان.[1] كما أنشئت له عدة سواقي على النمط المصري حتى يكون ري الزراعة ريا دائما ولا يعتمد على الأمطار كما ساهم في رفع ميزانية الدولة.[2]

الذرى:

تعتبر مادة الذرى من المحاصيل الرئيسة والتقليدية في السودان، لأنه يعد الغذاء الرئيسي للمواطن السوداني، ويزرع مختلف أنواع الذرى بشكل معتبر في كل من كوردوفان والجزيرة، وكان السودانيون يزرعونه مرة واحدة في العام[3].

السمسم: تكثر زراعته في المناطق التي تعتمد على الأمطار.

القمح:

لم يكن أهل السودان مهتمون بزراعته كثيرا لأنه ليس الغذاء الرئيسي لهم، وكانوا يعوضونه بالذرى وكانت مناطق زرعه قلية والتي منها: النوبة الشمالية أو كوردفان، كما كانت زراعته تتم بواسطة الري الدائم عن طريق الأبار.

الدخن:

هو عبارة عن حب صغير أكبر حجما من الذرى ويعد غذاءً رئيسيا في كوردفان، ويتم زراعته في بداية موسم الإمطار بالإضافة إلى محاصيل أخرى مثل النيلة، التي كانت تستخدم في صباغة الملابس حيث كان هذا المحصول يجني أرباحا طائلة، وقد جرت المحاولات بإدخال محصول القصب

---

[1] محمد فؤاد شكري: **الحكم المصري في السودان 1820م-1585م**، دار الفكر العربي،د.ب، 1974م، ص ، 61-65.

[2] نوال عبد العزيز: مهدي راضي: **رياح الشمال دراسة في العلاقات المصرية السودانية من التاريخ الحديث والمعاصر**، ط 01، المطبعة التجارية المدينة، الخرطوم، السودان ، ص 17.

[3] محمود شاكر: المرجع السابق، ص 53-54.

السكري في السودان وهو من المحاصيل الجديدة التي أدخلتها الإدارة المصرية يضاف إلى ذلك البن الذي يعتبر من المحاصيل الزراعية في ساحل البحر الأحمر[1].

الثروة الحيوانية:

زيادة على الثروة النباتية يمكننا الإشارة إلى الثروة الحيوانية التي تزخر بها السودان، وما لها من دور وأثر فعال في عملية الإنتاج الزراعي وأهمها:

1- **الأغنام:** تنتشر بكثرة حيث يزيد عددها عن ثمانية ملايين رأس وتتركز أكثر في الشمال.

2- **الأبقار:** يقرب عددها من عدد الأغنام، ويتميز النوع الشمالي منها بقصر القرون وكبر السنام بينما يمتاز الجنوبيين بالقرون الضخمة والسنام الصغيرة وهو معروف بجودة اللحم وقلة اللبن.

3- **الجمال:** يقرب عددها من مليونين رأس حيث كانوا يستعملونها في مسألة نقل المحاصيل[2].

أثر فرض الضرائب على الأهالي:

لما قام إسماعيل باشا بغزوته على جبال الصعيد اتفق مع وكيله سعيد أفندي على فرض الضرائب على الأهالي[3]، فجعل على كل واحد منهم خمسين قرشا في السنة فسجلوا القرى وسنّوا ضرائب باهظة على السكان، وهو ما أدى إلى تذمر هؤلاء وسخطهم على هذا الأمر الجديد، ونظرا لهذا الوضع قرر فريق من الأهالي الالتجاء إلى الحبشة في حين قرر البعض الآخر القيام بالثورة والانتفاض ضد الحكومة[4]، حيث كانت الضرائب في السودان على نوعين.

أ-الضرائب على الجماعات المستقرة:

وهي الجماعات التي تعمل على الزراعة وغيرها من الحرف الأخرى، وهي مقياس مقدرة الفرد المالية وكان تتعامل الحكومة في هذه الحالة مع الأفراد مباشرة.

ب-الضرائب على الجماعات المرتحلة كالبدو:

كان هذا النوع من الضرائب يفرض على بعض القبائل المرتحلة من مكان لآخر بحثا عن الكلأ والمراعي الجيدة لمواشيها، لذلك تم الاتفاق معها على أساس دفع مبلغ من المال وكان شيخ كل

---

[1] محمد فؤاد شكري: المرجع السابق، ص 67.

[2] محمود شاكر : المرجع السابق، ص 55.

[3] مكي شبيكة: المصدر السابق، ص 220.

[4] نعوم شقير : **تاريخ السودان**. دار الجبل، بيروت، 1981م، ص 283.

قبيلة مسؤول أمام الحكومة في الالتزام بهذه الضريبة، ومن الضرائب المقدرة على الأفراد ويكون تقسيم المبالغ دون تدخل الحكومة[1].

والسبب الذي أدى إلى فرض مثل هذه الضرائب في السودان هو الأزمة المالية التي مست مصر، مما أدى إلى تعيين مفتش مالي من طرف الضابط "غوردون"، الذي طلب منه تفتيش البلاد وفحص شكايات السودانيين الذين كانوا يعارضون دفع هذه الضرائب التي يعتبرونها فادحة، ووقع الأهالي تقريرا وأرسلوه إلى الجنرال غوردون بأن معظم هذه الضرائب تقع على عاتق أصحاب الأملاك الصغيرة بينما يقوم الفقراء بسد العجز ودفع ضرائب ثقيلة عن أملاكهم[2].

تجارة الرقيق:

لقد توسع نشاط المتاجرة بالرقيق في المجتمع السوداني بكثرة في نهاية القرن 19م، وكان العبيد يعدون أحد أهم السلع المتاجر بها، حيث تعددت مصادر جلب الرقيق السوداني من مناطق مختلفة مثل؛ كوردفان ودارفور والقادم إليهما أيضا عبر طريق "درب الأربعين" وأصبحت قوافل الرقيق تفد إلى أسيوط مرتين في اليوم[3]، كما كانت تفرض ضريبة على العبيد القادمين من السودان إلى أسيوط مقدره بنحو 250 قرشا عن الرأس الواحد من العبيد، وكانت هذه السلعة مصدرا رئيسا لربح التجار حيث كان لها نوعين:[4]

1- **التجار**: حيث توغل صيادوا الرقيق في النيل الأبيض حتى وصلوا إلى أعاليه وانتشروا في عديد المناطق من بلاد الغزال وخط الاستواء.

2- **النهاضة**: وهم الذين كانوا يغزون الجبال كجبال النوبة وجبال فازوغلي وكان شعارهم «يا ذهب أحمر يا موت أحمر».[5]

ومن خلال هذا العمل يتجه تجار الرقيق إلى أسواق السودان لبيعه للأهالي، وأشهر هذه الأسواق هي أسواق الأبيض، وفاشودة، والقلابات، وسنار، والفضارف، وشلا، وبربر، وشندى،

---

[1] عبد الفتاح عبد الصمد منصور: **العلاقات المصرية السودانية في ظل الاتفاق الثنائي 1899م-1924م**، الهيئة المصرية مصر1909 ، ص 29.

[2] سلاطين باشا: **السيف والنار في السودان**، مطبعة البلاغ،أم درمان، السودان، 1930 ، ص03.

[3] حمدنا الله مصطفى حسن: المرجع السابق، ص 149.

[4] هويدي علي فرغلي: **تاريخ إفريقيا الحديث والمعاصر**، ط. 1، دار المعارف، القاهرة، 1985م، ص 101.

[5] حمدان الله مصطفى حسن : المرجع السابق، ص 150.

والنحاسيون، فالتجار كلهم يشترون من هذه الأسواق ثم يبيعونه في الخرطوم والمسلمية. أما أثمان الرقيق فكان يختلف باختلاف الأجناس والأعمار.

لقد كانت محاولة الحكومة المصرية منع وتجريم تجارة الرقيق بالغ الأثر في إثارة غضب السودانيين، يفوق العوامل المباشرة الأخرى في إثارتها للسخط على السياسة المتبعة في السودان، لأنها أثرت على جميع طبقات المجتمع، فقد بذلت في عهد الخديوي إسماعيل وبمبادرة منه للقضاء على هذه التجارة إنشاء نظام للتفتيش على النيل الأعلى، كما صادر حاكم السودان قوارب تجار الرقيق وأنشأ مجموعة من النقاط العسكرية في "فاشودة" وفرض ضريبة الرأس على كل العاملين مع التجار، لكن كل هذه القوانين لم تجد نفعا واعتبر سكان السودان هذه التجارة نظاما مسموحا به في الإسلام منذ الأزل ويحق المتاجرة فيها، ومما آثار سخط السكان أكثر هو تعيين ضباط مسيحيين للقضاء على هذه التجارة[1].

المبحث الثالث: الأوضاع السياسية في السودان.

تعيين "غوردون" في المديرية الاستوائية (1874م-1877م):

تم تعين الضابط "غوردون" من طرف الخديوي إسماعيل أيوب باشا في عام 1873م بموافقة الحكومة البريطانية، فقد اقترح تعيين الضابط "شارل غوردون" لإدارة مديرية خط الاستواء عن حكمدارية عموم السودان[2]، لكن في واقع الأمر عين لخدمة المصالح البريطانية على حساب المصلحة المصرية، ولما وصل غوردون إلى القاهرة في 06 فيفري 1874م قابله الباشا الخديوي إسماعيل وطلب منه خلافة بيكر الحاكم للمنطقة حينها بعد إقامته الطويلة في القاهرة[3].

توجه الضابط "غوردون" في سنة 1877م إلى السودان، فوصل لمدينة الخرطوم واستقبله الخديوي استقبالا حسنا واستعرض له فرقة من العساكر لأداء تحية القدوم[4]، ولم يكن هذا الاستقبال تبرعا من قبيل المجاملات الشخصية، بل هناك أوامر كانت قد سبقت غوردون إلى الخرطوم وكان

---

[1] حمدان الله مصطفى حسن: المرجع السابق، ص 151.

[2] إبراهيم فوزي باشا: المصدر السابق، ص01.

[3] محمود شاكر : المرجع السابق، ص27.

[4] طوسون عمر: **تاريخ مديرية خط الاستواء المصرية 1889م-1869م.** ج 1 ، مطبعة العدل ، الإسكندرية، 1937م ج. 01، ص 108.

على الحكمدار تنفيذها[1]. ولقب بالباشا وكانت هذه أول مرة يشتغل فيها أحد الأوروبيون هذا المنصب، ومنح سلطة مدنية قضائية وعسكرية واسعة.[2]

وقد شرع غوردون في تنفيذ المهام التي كلف بها من طرف الخديوي منذ يوم وصوله إلى الخرطوم، وهي العمل على إلغاء تجارة الرقيق، لذلك اقترح على الحكمدارية أن يضم إلى مديريته نهر السوباط ونهر الجور، وأن يضم جزءا من مديرية فاشودة، وكذلك قسم كبير من بحر الغزال فلم تقبل له الحكمدارية[3]. فأبرق للخديوي يعلمه بالأمر موصيا بتوضيح هذا الطلب للحكومة، فورد الأمر لغوردون بأن ما وضع تحت إمرته أقاليم شاسعة هي وحدها في حاجة إلى مجهود جبار لإدارتها، فرضي غوردون بهذا الرد وكان يود السيطرة على كل تجار تجارة الرقيق حتى يتمكن من إبادتها حسب ما كان يعتقد[4].

2-سياسة غوردون داخل منطقة مديريات خط الاستواء:

حرص غوردون باشا[5] منذ أن كلف بمهام حكم المديرية الاستوائية على فصلها عن حكمدارية السودان، واعتبارها مديرية مستقلة بحد ذاتها وأن يكون حاكما مستقلا في عمله واتخاذ قراراته لأن بعد المسافة يؤدي إلى عرقلة تصريف أمورها واعتبر هذا الشيء السبب في فشل الضابط بيكر[6]. وفي 19 فيفري 1874م قام باصطحاب عدد من الضباط المصريين والسودانيين والأجانب ليعتمد عليهم في البعثات الكشفية التي أرسلها إلى منطقة البحيرات الاستوائية ومن بين هذه البعثات[7]:

---

[1] يحي جلال: **مصر الإفريقية و الأطماع الاستعمارية في القرن 19م**. دار المعارف، القاهرة، 1984م، ص 184.

[2] إبراهيم جاك جاك : المرجع السابق، ص 03-05.

[3] عز الدين إسماعيل: **الزبير باشا ودوره في السودان في عصر الحكم المصري**. الهيئة المصرية العامة، الخرطوم، السودان، 1998م، ص 206.

[4] مكي شبيكة: المصدر السابق، ص، 209-211.

[5] **غوردون:** ولد في مدينة لونش بانجلترا في سنة 1833م، وانظم إلى الجندية في سنة 1852م، وهو من أسرة اشتهرت بالجندية سافر إلى الصين ومنح لقب صاري عسكري وعاد في سنة 1865م إلى الجيش الانجليزي فرقي فيه إلى رتبة عقيد ثم عين مديرا في مديرية خط الاستواء، أنظر: حسن عبد الله: **السودان من التاريخ القديم الى رحلة البعثة المصرية**. ج. 01، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة، 2012م، ص 144.

[6] **صمويل بيكر:** عرف في عهد الخديوي اسماعيل باسم بيكر باشا عين مديرا لمديرية خط الاستواء، سافر من تلقاء نفسه لكشف منابع النيل الأبيض فوصل في 08 فيفري 1863 ، أنظر: حسن الله، المرجع السابق، ص 153.

[7] عبد العليم خلاف: **كشوفات مصر الإفريقية في عهد الخديوي اسماعيل 1879م-1863م**. الهيئة المصرية للكتاب، القاهرة، 1999م، ص، 79-104.

بعثة شالي لونج[1]، بعثة أرنست لينان دي بلفون، بعثة واسطن وشيندال، بعثة رومولو جيس، بعثة ماسون، ومن نتائج هذه الرحلات الاستكشافية أنشأ غوردون نقاطا عسكرية وقام بترك 640 عسكريا سودانيا و150 جنديا مصريا و650 من الباشيوزق الناقلة والجعليين[2].

وبعد هذه الاستكشافات المصرية أدخلت على التقسيم الإداري للسودان تعديلات ليصبح السودان إداريا يتألف منه 9 مديريات وهي كالآتي:

1- المديرية الشمالية ومركزها الدامر.

2- مديرية الخرطوم ومركزها الخرطوم.

3- مديرية كسلا ومركزها كسلا.

4- مديرية كردفان ومركزها الأبيض.

5- مديرية دارفور ومركزها الفاشر.

6- مديرية النيل الأزرق ومركزها واد مدني.

وهذه المديريات الست مسلمة عربية وتقع ضمن شمالي السودان.

7- مديرية أعلى النيل ومركزها ملكال.

8- مديرية بحر الغزال ومركزها واو.

9- المديرية الاستوائية ومركزها جنوبا.

وهذه المديريات الثلاث تغلب عليها الوثنية الزنجية مع أقليات من المسلمين والنصارى، وتقع ضمن جنوبي السودان[3].

كما قام غوردون باشا بإصدار قرارات رسمية أهمها:

- العمل بالقضاء على تجارة الرقيق وحقق نجاحا في ذلك، حيث وضع صندوقا خارج الحكمدارية يتلقى فيه عرائض الظلم وشكاوي الأهالي وهنا عمل على مشروع أولي بإلغاء هذه التجارة[4].

---

[1] **شالي لونج:** هو ضابط أمريكي الجنسية ولد في ولاية مروى في مصر والتحق بخدمة الجيش المصري في سنة 1870م، وهو من ضباط أركان الحرب واختاره غوردون ليكون ضابط أركان الحرب له للمزيد أنظر: عمر طوسون: المصدر السابق، ج. 01، ص، 115-116.

[2] حسن عبد الله: المرجع السابق، ص 143.

[3] عمر طوسون : المصدر السابق، ص 180.

[4] مكي شبيكة: المصدر السابق، ص222.

- أعلن حرب على هذه التجارة وقام بإصدار قرارات رسمية منها: معاهدة 4 أغسطس 1877م التي نصت على إيقاف هذه التجارة، ورسمت السبل الخاصة لمنعها تماما ولكن هذه المعاهدة لم تكن سوى حبر على ورق واستمرت تجارة الرقيق وأصبحت في الكيان الاقتصادي للسودان[1].

[1] حمدنا الله مصطفى حسن: المرجع السابق، ص152.

يمكن القول من خلال ما سبق أنه كان للمجتمع السوداني أوضاع إجتماعية كغيره من الشعوب، حيث كان لها نظام أسري يتميز بعادات وتقاليد ونظام تعليمي متطور لمحاربة الجهل، حاول المجتمع الشوداني مواكبة الإقتصاد المصري وتحسين ظروفهم المعيشية، لكن في الفترة الأخيرة فرض عليهم نظام سياسي وإقتصادي غريب عنهم لم يتماشى مع طبيعة سكان السودان، فكانت له سلبيات تمثلت في النظام الظرائبي القاسي الذي أثقل كاهل الشعب السوداني بالإظافة إلى نهب موارد السودان بأقل تكلفة وهذا مايؤكد القول من خلال تعين الضابط الإنجليزي غوردون.

الفصل الثاني:

إرهاصات ظهور الحركة المهدية في السودان

الفصل الثاني: إرهاصات ظهور الحركة المهدية في السودان.

المبحث الأول: لمحة عن شخصية محمد أحمد المهدي

1. مولده ونشأته.
2. تعريف بالحركة المهدية.

- إعلان ظهور المهدي في أغسطس من عام 1881م.
- علاقة المهدي بسلطات الخرطوم.
- الهجرة الى كردفان.

3. دعوته السرية والجهرية.

4- أفكار ومعتقدات المهدي.

المبحث الثاني: أسباب قيام الثورة المهدية.

1. العقيدة الدينية
2. الثورة العرابية
3. العنف.
4. الضرائب.
5. منع تجارة الرقيق.
6. المحاباة.

المبحث الثالث: وقائع الثورة.

1. واقعة أبا02 أوت 1881
2. واقعة راشدبك09 سبتمبر 1881م
3. معركة يوسف الشلالي29ماي 1882م.
4. حصار الأبيض وسقوطه جانفي 1883م.
5. حملة هكس.
6. أسباب نجاح الثورة المهدية.

تمهيد:

تعتبر الحركة المهدية أول تحرك سياسي واضح قام به السودانيون ضد الحكم العثماني–المصري للسوادن منذ بداية دخول القوات المصرية والتركية إليه، هذا الحكم الثنائي الذي صاحبه عملية تحول سياسي واقتصادي للبيئة الاجتماعية السودانية بشكل معتبر، ونتج عنها تزايد في فرض ضرائب قاسية على الأعيان والعامة، واستبدل الحكم القبلي الذي كان سائدا حينها بالقانون التابع للدولة المركزية، كلها عوامل زادت في احتقان الأوضاع بشكل عام على السودانيين، وانتظرت الشرارة فقط لتنتفض على هذا الحكم، وهو ما وجدوه في ظهور الحركة المهدية بقيادة محمد بن عبد الله عام 1881م.

استطاعت الثورة المهدية أن تتجاوز الشكل القبلي للتركيبة السكانية اعتمادا على الولاء الديني، حيث انخرط فيها العديد من فقراء القبائل والفلاحين، الذين عانوا من ارتفاع الضرائب التي فرضتها الدولة عليهم، وانظم إليها العديد من زعماء القبائل ومشايخ الطرق الصوفية وباركوها، وهو ما جعلها تحقق الكثير من الانتصارات في الحملات التي خاضتها أول الأمر.

المبحث الأول: نبذة عن محمد أحمد المهدي

مولده ونشأته:

ولد محمد أحمد المهدي في 27 رجب من سنة 1270هـ الموافق لـ 12 أغسطس 1843م في جزيرة "لبب"[1]، وهي إحدى جزر النيل الواقعة بالقرب من مدينة دنقلة[2]، ويسمي إبراهيم فوزي باشا هذه الجزيرة باسم جزيرة "الخناق"[3]. ويدعى اسم والده "عبد الله بن فحل" وأمه "زينب"[4]، وكانت تتكون الأسرة من: محمد أحمد، وحامد، وعبد الله، وبنت تسمى آمنة[5]، وتعود شجرة نسب أسرته إلى سلالة الرسول صلى الله عليه وسلم[6]. كان أبوه يعمل في صناعة المراكب الشراعية ويصنع آلات السواقي[7].

وفيما يلي سلسلة النسب التي كان ينادي بها لنفسه؛ «محمد أحمد المهدي بن فحل بن عبد الوالي بن محمد بن حاج شريف بن علي بن حسب النبية بن صبر بن نصر بن عبد الكريم بن حسين بن عون الله بن نجم الدين بن عثمان بن يعقوب بن عبد القادر بن الحسن العسكري بن علوان بن عبد الباقي بن صخرة بن يعقوب بن الحسن بن الإمام بن أبي طالب»[8]، وهذا النسب كان معروفا عن الأسرة قبل أن يظهر محمد أحمد المهدي ويعلن مهديته[9].

وفي السنة التي ولد فيها هاجر أبوه وإخوته بسبب انخفاض مياه النيل في المنطقة واستوطنوا قرية تدعى «كيرري» شمال أم درمان، وبعدها بقليل توفي والده وتركه تحت كفالة إخوته، ولما بلغ السابعة من عمره كان إخوته يصطحبونه معهم ليعلموه صناعة المراكب، وفي يوم رأى غلمان ذاهبين إلى الكتاتيب

---

[1] **لبب:** هي عاصمة دنقلة تبعد عنها حوالي 259 ميل ، وتسمى أيضاً الأورودي وقد كان فيها ديوان المديرية وضمت كتب التيليغراف، أنظر : محمد مهر كركوري: رحلة مصر والسودان، مطبعة الهلال، القاهرة، 1914م، ص 209.

[2] ب.م. هولت: **المهدية في السودان**. تر: جميل عبيد، دار الفكر العربي، بيروت، د.ت، ص51.

[3] عبد الله حسين، المرجع السابق، ص277.

[4] نعوم شقير: المصدر السابق، ص 321.

[5] إبراهيم فوزي باشا: المصدر السابق، ص70-71.

[6] سيرجي سمرنوف: **دولة المهدية من جهة نظر المؤرخ السوفياتي**. تر: رياض، دار الجيل، بيروت، 1994م، ص 29.

[7] إبراهيم بن سليمان: "الحركة المهدية في السودان عقيدتها وآثارها"، **رسالة ماجيستير**، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض، 140هـ، ص 26.

[8] نعوم شقير: المصدر السابق، ص 322.

[9] محمد سعيد القدال: **الامام المهدي أحمد بن عبد الله، 1844-1885**، ط1، دار الجبل بيروت، 1992، ص 37-38.

وبأيديهم الألواح ففر من أخويه وذهب ليتعلم معهم[1]، ورغم تحذيرات إخوته لم يكترث لأمرهم ومنذ ذلك الوقت إهتم بالعلوم الدينية فدرس القرآن الكريم في مدرسة كرري والخرطوم، ثم درس العلوم الفقهية، وأتقن على يدي الشيخين الأمين الصويلح ومحمد الخير علم النحو ومبادئ التوحيد[2]، وقد ظهر تفوقه على اقرانه في خلوة الشيخ محمد الخيرو في بربرة.

وعندما أكمل دراسته عند محمد الخيروا مالت نفسه للتصوف[3]، فذهب إلى محمد الشيخ الشريف صاحب الطريقة السمانية فدخل محمد أحمد في عداد المريدين، ولما تفقد الشيخ تلاميذه ومريديه بالليل لم يجد محمد أحمد كغيره نائما، بل وجده في يقظة يتعبد ويتهجد فلفت نظره ذلك الشاب، وقضى محمد احمد العديد من السنوات على هذا المسلك فمال إليه محمد الشريف وجعله شيخا وأعطاه راية، كما اعتبره بمثابة المعلم الديني[4].

ومع كل هذا التفوق في الدراسة والعبادة قام محمد احمد ببناء جامع للصلاة وخلاوي للتدريس، فاجتمع عليه سكان تلك الزاوية وهم دغيم وكنانة وغيرهم من عرب البادية، ودخل بعضهم في تلامذته وكثر أتباعه بعدها[5]، وأصبح من الصالحين المجددين وكثر أنصاره وتمالكه الغرور وادعى انه المهدي المنتظر[6].

---

[1] ابراهيم فوزي باشا : المصدر السابق، ص 86.

[2] فيصل محمد موسي : **موجز تاريخ إفريقيا**. منشورات الجامعة مفتوحة،بنغازي ، ليبيا، 1970م، ص 103.

[3] عبد الرحمان الرافعي : **مصر والسودان في أوائل عهد الاحتلال** تاريخ مصر القومي سنة 1882–1892م، ط 3، دار القومي للطباعة و النشر، القاهرة، مصر، ص 101.

[4] مكي شبيكة: **السودان في قرن، 1819–1919م**. لجنة التأليف والترجمة، القاهرة، 1947م، ص 252.

[5] نعوم شقير: المصدر السابق، ص 322.

[6] روبرت أوكنولينز: **تاريخ السودان الحديث**. تر.: مصطفى مجدي الجمال حلمي صحراوي، المركز القومي، القاهرة، 2015، ص 40.

التعريف بالحركة المهدية:

نشأت الحركة المهدية في السودان في أغسطس من عام 1881م، كحركة مناوئة للسلطات الحاكمة وكانت تحت زعامة محمد احمد المهدي[1]، وهي تعتبر حركة دينية سياسية، وقد اتخذت عدة تسميات (المهديين)، (الأنصار)، (الدراويش)، وقد انضم إليها العديد من الشيوخ والقبائل من مختلف أنحاء المجتمع السوداني الذي هيمنت عليه الطرق الصوفية[2]، حيث نظم المهدي صفوف جيشه وتغلب على القوات المصرية والقوات البريطانية[3]، وقد أخذ على عاتقه تخليص الشعب السوداني من الظلم الذي لحقهم جراء الضرائب الباهظة والرشوة المتفشية التي كان واقعا فيها[4]، وعندما رأى غوردون أن حركة الشيخ تزداد قوة لقبه سلطان كوردفان في محاولة لكسبه، فرفض المهدي ذلك لان هدفه كان العودة إلى تطبيق تعاليم الإسلام والنهوض بأوضاع السودان[5]، وقد مرت الحركة المهدية بالمراحل التالية:

-إعلان ظهور المهدي في أغسطس من عام 1881م:

بدأت خلالها حركة المهدي بإعلانه انه المهدي المنتظر الذي ينتظره العالم الإسلامي ليخلص المسلمين من انحرافات في تعاليم الدين الصحيح، وكان في عمره 40 عاما وقام برحلة إلى كردفان طالب فيها بنشر دعوته ثم عاد إلى آبا.

-علاقة المهدي بسلطات الخرطوم:

كان مع ازدياد نشاط حركة المهدي أن قام رؤوف باشا باستدعاء "المهدي" لمقابلة الحاكم العام في الخرطوم لكن المهدي رفض المجيء.

---

[1] عبد الله عبد الرزاق إبراهيم: شوقي عطاء الله الجمل: المرجع السابق، ص 221.

[2] مدني التوفيق : **تاريخ الصراع السياسي في السودان والصومال**، ط01، وزارة الثقافة، دمشق ، ص 21.

[3] صلاح محي الدين: وقفات تاريخ السودان، دار ومكتبة الهلال، بيروت، 1995م ،ص 145.

[4] محمد سعد القدال: **الإمام المهدي أحمد بن عبد الله 1844م-1885م**. ط 1 ، دار الجيل، بيروت ، 1992، ص 308.

[5] صلاح محي الدين، المرجع السابق، ص 145.

-الهجرة إلى كردفان:

مع ازدياد أتباعه وخوفا من التضييق عليهم هاجر المهدي إلى غرب كردفان لأنه كان يحاول التشبه بهجرة الرسول صلى الله عليه وسلم وقد رحب بعض الأهالي وزعماء القبائل بالمهدي وأتباعه[1].

دعوته السرية والجهرية:

الدعوة السرية:

بعد وفاة الشيخ القريشي، عاد محمد المهدي من الخلاوي[2]، وبدأ يتصل بأصحابه في آبا بسرية تامة في يونيو 1881م، وبعد عودته أخذ يدعو الناس للمهدية سرا كما انضمت إليه قبيلتين هما قبيلة دغيم وكنانة[3]، وكان وراء إقبال هاتين القبيلتين على دعوته هو الخليفة (على بن حلو) الذي لقبه بالخليفة فاروق لأنه صاحب المهدي[4]. وقد انتقل المهدي باتصالاته إلى بعض معارفه من رجال الصوفية وكانت الرسائل في هذه الفترة محاطة بالحذر، فبعضهم من إنضم إلى دعوته وبعض الأخر كفر بالدعوى ولم يعرها اهتماما. كما عمل المهدي على زيادة أنصاره في آبا والمناطق المسلمة وصرح بدعوته وحث على القيام بنصرة الدين والهجرة من أماكنهم والانضمام إليه ومبايعته[5].

الدعوة الجهرية:

بعد كتمان المهدي لدعوته في الأول، بدء يخاطب أصحابه ومشايخ الطرق الصوفية والقبائل ورؤساء العشائر مصرحا بدعوته جاهرا بها، فقد حثهم على القيام معه لنصرة دين الله والهجرة من أماكنهم والانضمام إليه ومبايعته على الجهاد في سبيل الله قائلا: "انه قد رأى النبي صلى الله عليه وسلم بعين

---

[1] عبد الله عبد الرزاق إبراهيم: شوقي عطاء الله الجمل: المرجع السابق، ص 325.

[2] ابراهيم فوزي باشا : المصدر السابق، ص 91.

[3] دغيم وكنانة: يقال لهم البقارة، وهذا الإسم يطلق على كل قبيلة وماشيتها من البقر ورجالهم معروفون بالشجاعة. أنظر: إبراهيم فوزي باشا، المصدر السابق ، ص 72.

[4] المصدر نفسه ، ص 91.

[5] محمد سعيد القدال: المرجع السابق، ص 78.

رأسه وأنه قد أجلسه على كرسيه وقلده سيفه وغسل قلبه بيده وملأه إيمانا وحكما ومعرفة وأخبره بأنه الخليفة الأبكر والمهدي المنتظر وأن من شك في مهديته فقد كفر ومن حاربه خذل في الدارين"[1].

كما تميزت هذه الدعوة بالإعداد المتقن والحذر وحسن الاختيار، وإعداد القادة ومجموعة المنفذين الأوائل لخطط الثورة والإعداد المادي والمعنوي لها، كما تميزت بتحسين الظروف واختيار الزمان والمكان لبداية العمل وتطويره[2]. وقد قام المهدي بإرسال كتب إلى الشيخ "محمد صالح" من علماء دنقلة كذلك بعث كتابا آخر إلى "محمد رؤوف باشا" حكم دار السودان، الذي نبئ بدعوته من قِبل الشيخ محمد الشريف[3]، وأرسل العديد من المنشورات للناس في مختلف الجهات ودعاهم إلى الهجرة معه[4]، وبعدما وزعت هذه المنشورات قال بأنه صدرت عنه حقا وأنه المهدي المنتظر واعتزم تأييد دعوته بالقوة.

الأفكار ومعتقدات المهدي:

إن شخصية المهدي القوية والمعتقد الديني الذي يدعو إليه والسخط العام الذي كان سائداً دعى المهدي إلى عدة أفكار ومعتقدات منها نذكر:

أولاً: دعى المهدي إلى ضرورة العودة مباشرة إلى الكتاب والسنة دون غيرهما .

ثانياً: أوقف العمل بالمذاهب الفقيهية المختلفة وحرم الإشتغال بعلم الكلام وفتح باب الإجتهاد في الدين.

ثالثاً: حرم الإحتفال بالأعراس والختان لأن الإحتفال يدعو إلى المنفقة والإصراف .

رابعاً: يسري الزواج بتخفيض المهر وبساطة الولائم وتحريم الرقص والغناء و ضرب الدفوف.

خامساً: منع البكاء على الأموات وحرم الإشتغال بالرُقى والتمائم.

---

[1] محمد سعيد القدال: المرجع السابق، ص 329.

[2] محي الدين صلاح: المرجع السابق، ص 148.

[3] داوود بركات: **السودان المصري والسياسية البريطانية**، المطبعة السلفية، مصر ، 1924 م، ص 20.

[4] عبد الرحمان الرافعي: مصر و السودان في أوائل عهد الإحتلال تاريخ مصر القومي سنة 1882-1892م، ط3، دار القومي للطباعة و النشر، القاهرة، مصر، ص 102-103.

سادساً: أقام حدود الشريعة في أتباعه كالقصاص وحيازة خمس الغنائم ومصادرته لأموال السارقين والخمارين، وصك العملة بإسمه[1].

المبحث الثاني: أسباب قيام الثورة المهدية.

يرجع قيام الثورة في السودان إلى طموحات شخصية لمحمد أحمد الدنقلاوي من جهة، وخاصة إلى الأوضاع التي سئم منها أهل السودان الذين كانوا ناقمين على الحكومة وينتظرون باب الفرج[2]، أما الأسباب التي أودتهم إلى هذه الحالة فهي سوء الإدارة وعدم اتفاق السياسة اللائقة ببلادهم، فقد استغل المهدي هذا السخط تحت شعار دعوة دينية[3]، وتتمثل هذه الأسباب فيما يلي:

العقيدة الدينية:

لم يكن يجمع قبائل السودان المتنازعة إلا جامعة الدين الإسلامي، وكان المظلومون أن الله – سبحانه و تعالى– لا يرضى استمرار الظلم ولا يرضى عن الظالمين وأنه لابد أن يرسل رجلا تقيا لينقذهم من الظالمين، وقد تواترت الأخبار المنقولة من بعض الكتب الدينية المتداولة من أحاديث العامة أن هناك رجلا عظيما يدعى "المهدي المنتظر"، سيظهر في آخر الزمان لإنقاذ أهل السودان[4].

الثورة العُرابية في مصر:

كان للحركات الإسلامية المعاصرة أثرها في إشعال الثورة، وكانت الثورة العُرابية العامل الرئيسي الذي أدى إلى إشعال الحركة المهدية على الحكومة، وذلك لأن الثورة المهدية قامت بعد أشهر قليلة على الثورة العُرابية، وأن الأسباب التي أدت إلى قيام الثورة العُرابية هي التي أدت إلى قيام الثورة المهدية بسبب نظام الحكم الذي كان في سائدا في كلا المجتمعين، وأن الفتاوى التي أصدرها علماء الأزهر بسب انحياز الخديوي إلى الجيش البريطاني، قدمت إلى المهدي أكبر حجة لثورته ضد ممثلي هذا الحكم ونوابه في القطر السوداني[5].

---

[1] إبراهيم بن سليمان: المرجع السابق، ص59–61.

[2] محمد مالك المحجوب: **المقاومة الداخلية للحركة المهدية**. ط 01، دار الجيل، بيروت لبنان، 1987م، ص 203.

[3] نعوم شقير: المصدر السابق، ص 318.

[4] المقدم محمد إسماعيل: **المهدي**. ط. 8، الدار العالمية للنشر والتوزيع، الإسكندرية، مصر، 2004م، ص 316.

[5] عبد الودود شلبي: **الأصول الفكرية لحركة المهدي السوداني ودعوته**. مكتبة الآداب، القاهرة، 2001، ص 17.

ظلم السياسة واستبدادها:

كان السودانيون يعانون من الظلم والاستبداد من طرف الحكام المصريين، وأيضا التدخل الأوروبي في شؤون الحكم وتوليهم المناصب الهامة واستغلال أهل السودان[1]، وكذلك للسياسة التي اتخذها إسماعيل باشا "فاتح سينار" للتنكيل بالملك "عمر" وبأصحابه، وكذلك إلى خروج الملك عمر من طاعة الحكومة، والذي لجأ إلى الحبشة واجتمع عليه كل متشرد وعاصي فكان شرا عظيما على الحكومة هو وأولاده، ولما ظهر المهدي كانت بقية أولاده في بلاد القضارف، فكانوا أول من ناصروه ورفعوا رايته في السودان الشرقي[2].

المغالاة في الضرائب:

لما فرضت الحكومة الضرائب على أهالي السودان، لم يكن هؤلاء متعودين عليها فاستثقلوها لأنها لم تكن موزعة بالقسط[3]، بل كانت شديدة على الفقراء وخفيفة على الأغنياء بسبب الرشوة، وفوق ذلك فقد كانت تُحصّل من جماعة الباشبورزاق والأكراد والمغاربة، الذين فتحوا البلاد واستعملوا منتهى القسوة والعنف في تحصيلها وعند تأخر أحدهم عن الدفع يقومون بإهانته[4]، وعلى الرغم من كل هذا لم يكتفوا بالضرائب الرسمية بل كانوا يفرضون على الأهالي الضرائب غير الرسمية أيضا، وذلك بسبب الولاة المستبدين الذين تولوا شؤون السودان[5].

منع المتاجرة بالرقيق:

لعله من الأسباب الأولى لقيام الثورة المهدية هو تشدد الحكومة في منع النخاسة والاسترقاق، مع أن النخاسة مهنة قديمة في السودان، وكذلك الأسلوب الذي اتخذه "غوردون" لمنع تجارة الرقيق والتضييق عليها في جميع الأقطار السودانية ولاسيما في بحر الغزال وخط الاستواء، وفرق جموع التُّجار وعاقب البعض بالقتل والبعض بالسجن والبعض بحجز الأموال[6]، دون مراعاة الظروف الاقتصادية والاجتماعية

---

[1] محمد السعيد القدال: المرجع السابق، ص 103.

[2] المقدم محمد إسماعيل: المرجع نفسه ، ص 461.

[3] يوسف حسين: **الدين والساسة في السودان**. ط01، دار الأرشيف، القاهرة، 2000م، ص 60.

[4] ب.م.هولت : المصدر السابق، ص 35.

[5] نعوم شقير : المصدر السابق، ص 317.

[6] محمد سعيد القدال: المرجع السابق، ص 37.

التي كان يعيشها أهاليهم، بالإضافة إلى عامل احتكار الحكومة إلى تجارة العاج في عهد غوردون فاستأثرت الحكومة بالأرباح الطائلة التي كانت تعود إلى أصحابها من أهل التجار والحرف[1].

سياسة التمييز والمُحاباة:

هي من الأمور التي استاء الأهالي منها كثيرا على ممثلي الحكومة، باتباعهم لسياسة التمييز والمفاضلة بين القبائل، وذلك من خلال تمييز قبيلة "الشايخية" مثلا الذين جندتهم عساكر وحاولت إعفائهم من الضرائب، مما زاد في غضب الأهالي ورؤساء الطرق، خاصة وأن الكثير من هؤلاء ليسوا من أهل السودان ولا يعرفون عاداتهم وتقاليدهم، كما أن معاملاتهم كانت تختلف عن عادات أهل السودان فمالوا إلى أحمد محمد وانسابوا إلى أهل بلاده[2].

المبحث الثالث: وقائع ثورات الحركة المهدية.

واقعة آبا 02 أوت 1881م:

لم يهتم الحكمدار محمد رؤوف باشا بأمر الخطابات التي كان يرسلها المهدي إلى بعض كبار الفقهاء والأعيان في بادئ الأمر، ولكن عندما انتشرت قصة المنشورات التي كان يصدرها المهدي رأي ضرورة استدعائه إلى الخرطوم، فأرسل معاونه أبو السعود إلى "جزيرة آبا" للقيام بهذه المهمة وقد بلغ أبو السعود "الجزيرة" في 11 رمضان 1298هـ الموافق لـ 7 أغسطس 1881م، وجرى بينه وبين المهدي حوارا أدرك من خلاله أن المهدي مصمم على دعوته، فعاد إلى الخرطوم وأخبر حكمدار بنية المهدي، وهنا بدأت شارة الثورة المهدية وأول انطلاق لها، حيث انتقلت من طور المنشورات والخطابات السلمية إلى العمل العسكري، وفي هذه المرحلة أظهر المهدي قدرته على قيادة الثورة وتلقى القبول من الناس وتمت مبايعته[3].

وقد قامت الحكومة بإعداد حملة للمواجهة وبلغ عدد جيشها بين 650 إلى 880 جنديا، ومعهم مدفعين بقيادة أبو السعود العقاد، كان هدفها القبض على المهدي وسجنه، ولكن محمد أحمد المهدي كان متيقظا فأخذ رجاله وأنصاره للقتال فما أن نزل الجند من الباخرة وبلغوا القرية حتى انقض عليهم رجال

[1] نعوم شقير: المصدر السابق، ص 318.

[2] محمد مالك محجوب: المرجع السابق، ص 145.

[3] محي الدين صلاح: المرجع السابق، ص145.

المهدي وفتكوا بهم جميعا[1]، أما أبو السعود فلم يغادر الباخرة فلما علم بالواقعة والهزيمة أقلع عائدا إلى الخرطوم وأعلم رؤوف باشا ما فعله المهدي برجاله، وتعتبر أول معركة انتصر فيها المهدي، وقد كانت هذه الواقعة سببا في تأجيل هجرة المهدي إلى جبل قدير هو وأتباعه واعتبر هذه الهجرة حدا فاصلا بين عهد مضى وعهد قادم، وتشبه في هذه الهجرة بهجرة الرسول صلى الله عليه وسلم، وكان الهدف من هذه الهجرة الابتعاد عن مراكز وحاميات الحكومة وكذلك على مناطق نفوذها، بالإضافة إلى تأييد الفقهاء ومشايخ الطرق الصوفية له، فقد وجد أرضا جديدة ليس بها انتماءات عقائدية سابقة[2].

واقعة راشد بك 02 سبتمبر 1881م:

كان "راشد بك" مديرا لمديرية فاشودة وكان له طموحات شخصية كبيرة، وبعد سماعه أن المهدي في جبل قدير وأنه قد حوصر من كل الجوانب [3]، فصمم راشد بيك على مهاجمته بالاستناد على 400 من العساكر المنظمة، وقد بذل جهدا بقصد الهجوم على المهدي لكن رأته امرأة كنانية أي من قبيلة كنانة تدعى رابحة قرب جبل قدير وأخبرته بسير راشد بيك نحوه[4].

وهنا قرر المهدي بإعداد خطة لمهاجمة راشد بيك في مدخل الغابة التي تقع عند أطراف قدير، وهو الطريق الوحيد الذي كانت تسلكه قوات راشد بيك، كما أرسل المهدي مجموعتين من الفرسان للاستطلاع والمطاردة وقرر مهاجمة قوات راشد عند ما يكون نصفها داخل الغابة والنصف الأخر خارجها[5]، فكمن لهم محمد المهدي هو ورجاله وقتلوا راشد بك وحوالي 1400 جندي من رجاله وغنم المهدي وجمع أسلحة وذخائر، وبوصول الأنباء للخرطوم شعر محمد رؤوف باشا بالخطر واتصل بمصر طالبا المساعدة بقوات عسكرية أخرى[6]، وبهذا الانتصار الذي حققه المهدي بدأ الناس يتدفقون بأعداد كبيرة إلى جبل قدير

[1] محمد سعيد القدال : المرجع السابق، ص103.

[2] المرجع نفسه ، ص 104.

[3] محي الدين صلاح: المرجع السابق، ص 60.

[4] نعوم شقير: المصدر السابق، ص ص 140- 141.

[5] حامد الصديق: **علاقات المهدية الخارجية 1881م-1898م**. سبتمبر 2017م، ص 20.

[6] المرجع نفسه ، ص ص 20-21.

للانضمام إليه، وأصبح هذا الموقف داخل السودان خطيرا وتثبتت الحكومة من خطورة هذه الثورة وتم عزل محمد رؤوف من منصب الحكمدارية في مارس 1882م[1].

معركة يوسف الشلالي 29 ماي 1882 :

بعد هزيمة راشد بيك أيمن تم عزل محمد رؤوف باشا عن الحكمدارية وعين بدله عبد القادر حلمي باشا[2]، وأثناء هذه الفترة الأخيرة تولى جيكلر باشا[3] النمساوي الحكمدارية[4]، فقام بإرسال رسالة برقية يلح فيها على الحكومة أن تأذن له بتجهيز حملة قوية لسحق المهدي في قدير، لكن عبد القادر حلمي باشا عارض الفكرة وطلب منه ترك المهدي إلى ما بعد وصوله للخرطوم، لكن جكلر باشا حشد نحو أربعة آلاف مقاتل بقيادة يوسف باشا الشلالي الذي تم اختياره لبراعته في الأمور الإدارية والعسكرية[5]، وقبل انطلاق الحملة أرسل الشلالي خطابات للمهدي ووصف أنصاره بأنهم «البقارة» و«الجهال» و«الأعراب» و«المجوس» وتم تبادل الخطابات بينهما وطلب الشلالي من المهدي الاستسلام والعدول عن فكرة القول بأنه المهدي المنتظر، فرفض المهدي ذلك فقام الشلالي بالانطلاق بجيشه إلى معقل المهدي، وعند سماع المهدي باقتراب الجيش هجم عليهم بمجموعة حاشدة يبلغ عددها حوالي خمسة عشر ألف وباغتوا الجند ليلا[6]، فأوقعوا بهم وقتلوا يوسف الشلالي، وبعد الانتصار الذي حققه أنصار المهدي استولوا على الكثير من الأسلحة والذخائر فازدادوا بها قوة في مختلف الأرجاء ولا سيما في كردفان، وصدق الأهالي دعوة المهدي محمد احمد بعد هذه الانتصارات المتوالية[7]، وازداد إيمان الناس به وازداد أتباعه فعمل على ترتيب جيشه وقسمه إلى ثلاث فرق:

الفرقة الأولى: كانت من قبائل السودان الغربي وكان قائدها الخليفة عبد الله التعايشي.

---

[1] محمد مالك محجوب: المرجع السابق، ص 60.

[2] **عبدالقادر حلمي:** ولد بمدينة حمص تلقى تعليمه في القاهرة، ودرس الطب في فينا التحق بسلاح المهندسين بالجيش السوري وتدرج في الرتب العسكرية إلى أن وصل رئيس فريق في عام 1878م عين حكمدار للسودان بعد رؤوف باشا، أنظر: محمد مالك المحجوب، المرجع السابق، ص 39.

[3] **جيكلر باشا:** ألماني الجنسية التحق بخدمة الحكومة المصرية في صفة مهندس وعينه غرودون باشا نائبا للحكمدار في عام 1880م، أنظر: محمد مالك المحجوب، المرجع السابق، ص 39.

[4] أحمد الصديق: المرجع السابق، ص 24.

[5] نعوم شقير: المصدر السابق، ص 342.

[6] محمد سعيد القدال: المرجع السابق، ص 117.

[7] عبد الرحمان الرافعي: المصدر السابق، ص 107.

الفرقة الثانية: رايتها خضراء وقائدها الخليفة علي بن محمد علي، وهذه الفرقة مؤلفة من القبائل التي تسكن في ضفتي النيل الأبيض والقبائل التي تسكن الجبال حول جبل قدير.

الفرقة الثالثة: هي من قبائل السودان الأوسط أي من أقاليم الخرطوم وسنار وجعل قيادتها إلى ابن عم الخليفة محمد شريف بن حامد والذي لقب بالخليفة الكراري[1].

حصار الأبيض و سقوط الخرطوم في جانفي 1883م:

بعد الانتصارات التي حققها في معركة راشد بك ويوسف الشلالي تقدم المهدي من قدير إلى الأبيض (عاصمة كردفان)، وفي جانفي 1882م تقدم حوالي 20 ألف من أنصاره بالإضافة إلى من انضم إليه في الطريق[2]، فوقعت معركة جنوب سنار ومعركة أخرى في بارا وتعتبر من المواقع الهامة، حيث تقع جنوب كردفان 17جوان 1882 وتليها معركة الطيارة (هي مدينة تجارية تقع على مسافة 100 ميل جنوب الأبيض تسكنها قبيلة جوامعة البقارة) وكانت من نتائج ذلك أن فتحت الطريق إلى الأبيض[3].

بعث المهدي رسولين إلى الأبيض يطلب من حاكمها محمد سعيد وأهلها الاستسلام دون إراقة الدماء، وعندما زحف المهدي نحو الأبيض في 08 ديسمبر 1882م خاطب أهلها وأثار قلقا كبيرا داخل المدينة، فبدأ جنود الحكومة بالاستعداد للدفاع عن المدينة وتمت بعض الإجراءات العسكرية، ثم أخذت بعض المجموعات التي تساند المهدي بالخروج من المدينة والانضمام إليه بعد قضائه أسبوعا عند أهل المدينة[4]، ووقعت في ذلك اليوم معركة انتهت بهزيمة الثوار وقتل منهم الكثير، وكان من القتلى شقيق المهدي وشقيق عبد الله التعايشي فانسحب المهدي منها[5].

وبعد هذه الهزيمة التي لحقت بالمهدي أمر بحصار الأبيض، وقام بتجهيز جيشه واستمر هذا الحصار أكثر من ستة أشهر إلى غاية 6 يناير 1883م، ولاقت خلالها حامياته الكثير من الضنك فقد

[1] ابراهيم فوزي باشا: المصدر السابق، ص 91.
[2] أحمد حامد الصديق: المرجع السابق، ص 108.
[3] عبد الرحمان الرافعي: المصدر السابق، ص 108.
[4] محمد سعيد القدال: المرجع السابق، ص ص123-124.
[5] عبد الرحمان الرافعي: المصدر السابق، ص107.

قلت المؤن ووصلت بهم لدرجة اليأس، فكتب محمد سعيد باشا رئيس حامية المدينة وكبار القادة للمهدي يعرضون التسليم له على أن يعد بحماية أرواحهم فوافق واستقر في ديوان الأبيض[1].

وكان من نتائج سقوط الأبيض ما يلي:

للأبيض مكانة اقتصادية هامة في السودان، فهو أهم المدن في غرب السودان حيث كانت معبرا تجاريا وكانت حلقة وصل بين مديرية دارفور والخرطوم والمراكز التي تخرج منها البعثات التبشيرية لجبال النوبة. كما أصبح المهدي يسيطر على كردفان وعلى مدنها وبواديها، ونتج عنه أيضا عزل دارفور وبحر الغزال الاستواء عن الخرطوم[2].

وعلى الصعيد العسكري فقدت الحكومة الكثير من قواتها العسكرية المصرية والسودانية، كما فقدت الكثير من السلاح الناري الذي كان يؤمن حياتهم بعض الشيء، فقد أصبح هذا السلاح في يد المهدي وأنصاره وضعفت الحكومة عسكريا، مما أدى إلى زيادة قوة المهدي إذ أدخل كل الجنود المصريين والسودانيين في جيشه.

أما على الصعيد الروحي؛ فقد كانت انتصارات المهدي قد قلبت الأوضاع في البلاد رأسا على عقب، ولذلك فقد آمنت به كل فئات الشعب التي كانت تنتظر الخلاص مما هي فيه[3].

حملة هكس:

بعد أن سقطت الأبيض بيدي المهدي أخذ يلتفت إلى زيادة قوته، وكان أنصاره في ضفتي النيل يوافونه بكل ما يجد من الأخبار، فكان يعرف أن السلطات في السودان تطالب بالإمدادات من القاهرة، وكان الهدف من هذه الإمدادات هو استرجاع المديريات التي خرجت من يديها[4]، وفي أواخر سنة 1882م تدخلت بريطانيا في شؤون السودان وقامت بتقديم تقرير عنه، وفي 9 فيفري 1883م بعثت إلى الحكومة بتقرير مفصل عن الخرطوم وعن الأحوال السائدة في شرق السودان.

---

[1] عبد الله عبد الرزاق ابراهيم: شوقي عطاء الله الجمل: المرجع السابق، ص 323.

[2] ضرار صالح ضرار: **تاريخ السودان الحديث**. ط 04، دار مكتبة الحياة، بيروت، 1968م، ص 133.

[3] محمد سعيد القدال: المرجع السابق، ص 125.

[4] سلاطين باشا: المصدر السابق، ص 45.

لقد ازداد إصرار الحكومة المصرية في القضاء على الثورة المهدية، وذلك من خلال استدعاء عبد القادر باشا إلى مصر وتعين بدلا عنه "علاء الدين باشا" حكمدارا عاما للسودان وسليمان نيازي[1] قائدا عاما للجيش، وفي فيفري 1883م حصرت سلطته في الإدارة الملكية فقط وعهدت بقيادة الجند لسليمان باشا وجعلت هكس باشا [2]الانكليزي رئيسا لأركان الحرب، وقد أعد هكس حملة لمحاربة المهدي في كردفان وكانت مكونة من جيش العرابي، ولكن الحكومة كانت تسيء الظن فيه واعتبرت الحملة مشؤومة[3]، وترأس هذا الأخير حملة عسكرية للقضاء على المهدي وأتباعه، فتحرك هاكس في09 ديسمبر 1983م فاتجهت الحملة جنوبا وكانت الأحوال سيئة فقد تعب الجيش من رحلته، وعندما وصلوا إلى مشارف المدينة خرج المهدي بجيشه وبدأ بالتدريبات العسكرية لقواته، حيث تجمع لديه حوالي أربعين ألف مقاتل تحت علم المهدي مسلحين بالبنادق وبعض المدافع والسيوف، وكتب المهدي لهكس عارضا عليه أنه يجب عليه الاستلام، لكن هذا الأخير قابله بالرفض في 01 نوفمبر 1883م، وتحرك المهدي بجيشه إلى الأبيض لملاقاة العدو ووقع صدام في 03 نوفمبر 1883 لما خرج جيش المهدي ليبحث عن الماء والمؤونة[4]، وكذلك الأمر لما وصل جنود الحملة إلى شيكان حيث هاجمهم المهدي وقتل كل الضباط الأوروبيين بما فيهم هكس، ولم ينجوا منهم إلا القليل من الضعفاء الذين اختبئوا بين الأشجار وتحت جثث القتلى، وقد خرج المهدي وخلفائه إلى البركة وتركوا بعض الأمراء يجمعون الغنائم إلى بيت المال، وبعد 15 يوما عاد المهدي إلى الأبيض بالمدافع والذخيرة والأموال التي اكتسبها من حملة هكس[5].

ومن أسباب نجاح المهدي في هذه الحملة هو اتباعه لعدة إجراءات نذكر منها:

أولا: قام بإرسال العيون التي توافيه بأخبار حملة هكس، وقام بإرسال المنشورات إلى القبائل التي تفرقت بعد تحرير الأبيض، كما أخرج قواته من المدينة وأعد معسكرا ضخما تجمعت فيه كل القبائل الموالية وكان يشرف على التدابير القتالية بنفسه، وقام بإرسال الخطابات للقبائل بأن تقيم حول الطريق الذي تقرر أن تسلكه الحملة وأمر أتباعه بإخلاء الطريق وردم الآبار.

---

[1] نعوم شقير: المصدر السابق، ص ص 390-391.

[2]هكس باشا: كان ضابطا انجليزيا في الجيش الهندي تقاعد برتبة عقيد، ثم عينته الحكومة المصرية رئيسا لأركان حرب الجيش في السودان ووصل إلى الخرطوم في 08 مارس 1882م، أنظر: عبد الله حسين: المرجع السابق، ص 261.

[3] مهري محمد كركوكي : **رحلة مصر والسودان**. مطبعة الهلال، القاهرة، 1914م، ص 320.

[4] محي الدين صلاح : المرجع السابق، ص 122.

[5]محمد مهري كركوكي: المصدر السابق، ص 320.

ثانيا: جمع الأسلحة وصيانتها وأجرى التدريبات العسكرية الشاقة لجنوده.

ثالثا: كان مجلسه الحربي في حالة انعقاد دائم[1].

رابعا: نجح في استخدام الحرب النفسية تجاه قوات الحملة المتحركون نحو الأبيض، كما استفادوا من العوامل الجغرافية والمناخية في المنطقة لكي يحققوا النصر على هذه الحملة، و من الواضح أن المهدي كان قد خطط جيدا لها[2].

أسباب نجاح الثورة المهدية:

كان لنجاح معارك ثورة المهدي عدة أسباب يمكن اختصارها فيما يلي:

وحدة القبائل والعشائر: كان لتوحيد القبائل فكريا دور بارز في انتصار الثورة في بدايتها، واستطاع المهدي أن يتعمق في المجتمع السوداني ومعرفة العوامل الخفية التي تسوده، وتعرف على خصائص النظام القبلي[3].

الثورات العربية في مصر: لعبت هذه الثورات دورا بارزا في الثورة المهدية فهي التي أعطت المهدي السوداني إشارة وفتحت أمامه طريق إلى الثورة.

[1] عبد الله حسن: المرجع السابق، ص ص 27-28.

[2] أحمد حامد الصديق: المرجع السابق، ص 30.

[3] السنى بانقا: **أضواء النظام القبلي والادارة في السودان**، مطبعة الحكومة، الخرطوم، السودان، 1960م، ص 16.

ضعف الحاميات المصرية: إلى حين ظهور الثورة سنة 1881م لم يكن في السودان حاميات بسبب اتساعها وصعوبة مسالكها، وترددت الحكومة في اتخاذ سياسة ثابتة لإخماد الثورة من الأول بل أظهرت أحيانا التردد والارتباك في مكان الحزم والعزم[1]. وفقدت جميع حامياتها الواحدة تلوى الأخرى، لكن رغم ذلك قام السودانيون بتوزيع 40490 رجلا على الحاميات كما يلي:

عدد الرجال	الحاميات
1950	دنقلة
800	الجيزة
3480	هرر
2180	بربرة
200	القضارف
5830	كوردفان
7470	الخرطوم
3940	كسلا
4863	دارفور
2120	القلابات

[1] نعوم الشقير: المصدر السابق، ص 219.

920	اميديب
886	بحر الغزال
1900	سنهيت
2131	خط الاستواء

وتجدر الإشارة أن هذه الحاميات لم تكن محصنة قبيل الثورة، وتم تحصينها فقط أثناء الثورة وكان في كل حصن خطة دفاعية بسيطة، ثم أنه لم تكن كل حامياتها من العساكر المنظمة بل كان بينها الكثير من الباشيوزق وكل المتمردين عن الحرب والقتال في حين ترعرع أهل السودان على الفروسية والشجاعة، ومتعودون على الحروب وقد صدقوا المهدي وأحبوا الموت معه في سبيل الله[1].

ومن خلال ما سبق نستنتج أن الأوضاع السياسية التي فرضت على المجتمع السوداني من قبل نظام الحكم المصري شهدوا فيها نظام معيشي لم يعتادوا عليه أحسوا فيه بالظلم والقهر بالإضافة إلى نهب الموارد الطبيعة والبشرية.

فأراد المجتمع السوداني الخروج من الحالة التي يعيشونها من تضمر وإستياء، فأنقادو إلى الدعوة المهدية التي كان قائدها محمد أحمد المهدي التي كانت عبارة عن حركة دينية في البداية تندد بمظالم الحكم والعنف والإستبداد القائم، وتحولت إلى حركة عسكرية، إستخفت الحكومة بشأن الدعوة المهدية في بادئ الأمر ولن تعطها أي إهتمام، كما أنّ الثورة العرابية قد أرهقت الخزينة المصرية في نفس الفترة التي إنطلقت فيها الحركة المهدية، وهذا مساهم في ترجيح الكفة لصالح المهدي، وساهم في نجاحه، وقد حقق عدة إنتصارات في الحملات التي قادها مما أدى إلى زيادة شعبية هذه الحركة على الصعيد الداخلي والخارجي.

[1] نعوم شقير: المصدر السابق، ص ص 319-320.

الفصل الثالث:

الحركة المهدية بعد وفاة موٴسسها أحمد المهدي

الفصل الثالث: الحركة المهدية بعد وفاة مؤسسها أحمد المهدي.

المبحث الأول: سياسة غوردون لقمع حركة المهدي.

1- غوردون وسياسة إخلاء السودان.

2- حصار الخرطوم وسقوطها.

3- وفاة المهدي.

المبحث الثاني: عبد الله التعايشي خليفة لأحمد المهدي.

1- مولده ونشأته.

2- تولي عبد الله التعايشي الحكم.

3- أوضاع الدولة المهدية أثناء حكم الخليفة.

المبحث الثالث: الحركة المهدية في عهد الخليفة عبد الله التعايشي

1- الفتنة الداخلية.

2- الحروب الخارجية.

- مع مصر.
- مع الحبشة.
- مع إيطاليا.

3- حملة إعادة الغزو البريطاني المصري للسودان.

تمهيد:

منذ إندلاع الثورة المهدية في عام 1881 نجدها قد سعت إلى كسب أكبر غدد من الأتباع على مستوى إقليم السودان وكذا على المستوى الخارجي وإنتهجت الحركة المهدية في علاقتها الخاريجة شرط أساسي لتحديد هذه العلاقة وهذا الشرط في الإيمان بالمهدية والعمل تحت لوائها والتبعية الكاملة لسلطة الإمام محمد أحمد المهدي فبعد الإنتصارات التي حققها في كثير من المعارك مثل معركة شيكان والقضاء على حملة هكس إلتف حوله العديد من الأتباع لكن وافته المنية عن عمر لا يتجاوز الواحد والأربعون سنة.

لم تنتهي الحركة بوفاة محمد أحمد المهدي وتولاها عبد الله التعايشي من بعده فإنتهج الخليفة مشوار المهدي وقام بتوجيه الرسائل المكتوبة والدعوات لحكام بعض الدول الخارجية مثل الملكة فكتوريا ببريطانيا والسلطان عبد الحميد في تركيا والخيدوي في مصر، كما تعرض الخليفة عبد الله إلى بعض النزاعات الداخلية و بالإضافة إلى الحروب الخارجية والتي أرهقت كاهله وأدت إلى فشله في التوسع، وبدأت ملامح الضعف تعصف بالدولة المهدية والتي إنتهت في عام 1898م .

المبحث الأول: سياسة غوردون لقمع حركة المهدي.

1-غوردون وسياسة إخلاء السودان :

لقد وصل غوردون إلى السودان في يوم 18 فيفري 1884م، فتلقاه الناس والموظفون وقناصل الدولة وعلمائها وزعمائها بحفاوة[1]، وفي لحظة وصوله بدأ بإصدار تعليمات وهي حرق دفاتر الضرائب وإعفاء المتأخرين عنها، وإطلاق سراح المساجين ماعدا المتهمين بجرائم القتل، وتفقد المخازن وفتش دفاترها وأحصاها ثم بدأ بتنظيم مدينة الخرطوم[2].

كما قام بفرز الجنود المصريين من الجنود السودانيين لترحيلهم بالتدريج إلى مصر، وإعادة السلطة في يد المصريين وأرسل برقية تقضي بذلك، فردت الحكومة المصرية ردا سلبيا عن طريق المندوب البريطاني السامي في القاهرة "اللورد كروم" معللا بأن الحكومة المصرية لا ترغب في تعيين غوردون لسبب واحد رئيسي، هو أن الحركة القائمة في السودان دينية وتخشى على إقدام تعيين مسيحي في مركز كبير قد تباعد بينها وبين القبائل التي لا تزال على ولائها.

فأصدرت الأوامر البريطانية إلى مصر بأنها يجب الالتزام بتنفيذ أوامرها أو وقف الوزراء والحكام الذين لا ينفذون هذا التوجه البريطاني، فاستقال الشريف باشا وذكر كلمته الشهيرة: "إنه إذا ما تخلت مصر عن السودان فإن السودان لا تترك مصر"[3]. ووجدت بريطانيا في "نوبار باشا" الأرميني المسيحي وزيرا يقبل تنفيذ سياستها الخاصة بإخلاء السودان والانسحاب منه، وفي القاهرة حصل على توجيهات مفصلة للسير على سياسة الإخلاء في السودان[4].

وقد حاول غوردون أن يستفيد من وجود الزبير باشا معه في الخرطوم، لكن الزبير كان غير راضي عن غوردون الذي شرد أهله وحاول استغلاله عن طريق إرضائهم وإن يرجع إليه حكومة دارفور، لكن خسره بسب سوء معاملته فعاد الزبير من أسوان إلى القاهرة ورفض مواصلة السفر معه، فأرسل غوردون إلى المهدي يخبره بأنه قد تم تعيينه واليا على السودان باتفاق الحكومتين المصرية والانجليزية

---

[1] سلاطين باشا: المصدر السابق، ص 120

[2] يحي جلال: **تاريخ إفريقيا الحديث والمعاصر**، المكتب الجامعي الحديث،الإسكندرية، 1999م، ص 357.

[3] مكي شبيكه: المصدر السابق، ص 303.

[4] يحي جلال: المرجع السابق، ص 359.

لمعالجة حال السودان، وأنه عينه حاكما على كردفان فرد المهدي بأنه قضى على حملة هكس، وذلك تهديدا لغوردون بأنه سوف يقضي عليه هو أيضا[1].

كان لهذه الأحداث والتطورات أثرها السلبي على غوردون، فقد أدرك أن خطته التي قامت على إخلاء السودان سلميا مع الإبقاء على علاقة الود مع المهدي قد منيت بالفشل، وشعر بأنه ملزم بإقامة حكومة قوية تسير عميلة الإخلاء وتفرض الحماية اللازمة لرعاياها[2].

2-حصار الخرطوم وسقوطها:

بعد أن تأكد المهدي من ولاء أهل الجزيرة ومعظم سكان المناطق المجاورة للخرطوم له، أيقن أن الوقت قد حان للتوجه نحو الخرطوم، وشرع في إصدار الأوامر والتعليمات لأتباعه منذ 12 مارس 1884م بالهدف المقصود، فسار نحو "الحلفايا" والتقاه الدراويش في منتصف الطريق فانقسموا إلى ثلاث فرق؛ فرقة عن يمينهم وفرقة عن يسارهم وفرقة أمامهم[3]، وهنا بدا المهدي بمحاصرة الخرطوم في ثلاث مراحل :

المرحلة 1: عزل الخرطوم عن العالم الخارجي، وذلك بقطع الطريق الرابط بين بربر وسواكن، ثم طريق بربر ومصر، ثم طريق كسلا ومصوغ ثم طريق القلابات إلى الحبشة.

المرحلة 2: عزل الخرطوم عن بقية أنحاء السودان والمناطق المحيطة بها.

المرحلة 3: حصار المدينة حصارا مباشرا[4]. فعسكر جنوده بالقرب من المدينة من جهة الجنوب من الجريف على النيل الأزرق وحتى كلاكلة على النيل الأبيض، كما حوصرت أم درمان من جهة الشمال، ولما استقر المحاصرون أرسل قائدا الفرقتين كلا منهما كتابا إلى غوردون باشا يدعوانه للاستسلام فرد لهما بقوله :"أن المهدي الذي تتبعونه ليس هو المهدي المنتظر"، وذكر لهم أنه لن يسمح لهم بالسلب والنهب وأن محمد المهدي هو أمير على كردفان وفقط، وقد رد المهدي على غوردون أنه

[1] يحي جلال: المصدر السابق، ص 356.

[2] فرغلي علي تنس هريدي ، المرجع السابق، ص 173.

[3] ريهام عثمان مامون: غوردون حكم دار و حاكم عام للسودان 1874 م -1885 م، إشراف سيد علي أحمد عثمان، رسالة ماجيستير، غير منشورة، كلية الآداب، قسم الدراسات العليا، جامعة النيلين، 2018م، ص 72

[4] المرجع نفسه، ص73.

أرسل رجلين من أنصاره يأتون إليك ومعهم الهدية وهي عبارة عن لباس الدراويش، ولما ترجم لغوردون كتاب المهدي غضب وأمر بحرق الكتاب[1].

وفي مارس كانت الأخبار قد وصلت إلى غوردون بأن الأنصار قد قطعوا خط التلغراف بين بربر والخرطوم، وكان أهل البربر قد علموا أن غوردون منذ وصوله ليس معه جيشا يعينه ففقدوا الثقة في قوة حكومته وهاجر العديد منهم إلى المهدي، ومن الناحية الأخرى كان المهدي قد قرر تعيين القائد عثمان أبي قرجة[2] في ماي 1884م أميرا عاما على المحاصرين بالخرطوم، ولقب بأمير البريين والبحرين وقد أقام المعسكر على النيل الأزرق وجنوب شرق الخرطوم، لكن لم يترتب على وصوله انتصارات جديدة فقد صمد غوردون في وجه المحاصرين على جهة النيل الأزرق، وانسحب إلى النيل الأبيض في منتصف شهر أوت، وعندئذ أرسل غوردون رجاله ليقوموا بالهجوم على الأنصار في الحلفايا وكانوا تحت قيادة الشيخ العبيد[3]، فانسحب الأنصار إلى أم درمان[4].

وفي يوم 25 جانفي 1885م عقد المهدي مجلسا من خلفائه، وقد شجع المجتمعين على اتخاذ القرار المناسب، بناءً على المعلومات التي وصلتهم من الفارين من المدينة المحاصرة عن انتشار المجاعة والأمراض بها. وفي صبيحة يوم 26 جانفي 1885م زحف حوالي 50.000 من الدراويش بقيادة عبد الرحمان النجومي على استحكامات الخرطوم التي كان غوردون قد حفر حولها خندقا عميقا يمتد بين النيل الأزرق و بين النيل الأبيض على شكل نصف دائرة وله ثلاثة أبواب[5].

4- باب الكلاكلة على النيل الأبيض.

5- باب المسلمية وهو مكان محطة السكة الحديدية الحالية بالخرطوم.

---

[1] نعوم شقير: المصدر السابق، ص 437.

[2] **أبي قرجة:** أصله من الدنقلة إنخرط في سلك المهدية منذ أوائل ظهور الحركة المهدية، لقب بأمير البحرين توفي بأم درمان في سنة 1916م. أنظر: محمد إبراهيم أبو سليم: الحركة الفكرية في المهدية. دار الطباعة، الخرطوم، السودان، 1970م، ص 27.

[3] **العبيد بدر:** يعتبر من الشخصيات ذات الوزن الديني والقبلي وهو من بين الأشخاص الذين كاتبهم المهدي للانضمام إليه: أنظر: محمد سعيد القدال، المرجع السابق، ص 473.

[4] نعوم شقير: المصدر السابق، ص 473.

[5] عبد الله عبد الرزاق إبراهيم: شوقي عطاء الله الجمل: المرجع السابق، ص 326.

6- باب بري على النيل الأزرق وزاد غوردون من تقوية الباب البري ببناء سور وراء الخندق ووضع مطبات أمامهم.

عاد المهدي مع بقية رجاله وأتباعه إلى الرهد في 22 أغسطس، ووصلت القافلة إلى نهر عند الدويم ثم تحركت شمالا، وفي 23 أكتوبر اتخد المهدي معسكرا رئيسيا له يتابع منه الحصار في أبو سعد جنوب أم درمان. وهكذا طوقت القوات المهدية المدينة تماما في الحلفايا والحاميات على الهجوم الرئيسي للنهر لمنع المراكب كما أرسل المهدي حمدان أبو عنجة للاستيلاء على قلعة أم درمان.

وفي نفس الشهر حدثت اشتباكات والتي تم فيها خرق المربع البريطاني، ولكن دارت الدائرة على الأنصار فانسحبوا واستأنفوا تقدمهم[1]، ولكن المهدي كان قد أمر رجاله بتعزيزات أخرى ووقعت اشتباكات أخرى في القبة خارج المتمة[2]، وهنا أصيب غوردون بجروح عميقة وارسلت بريطانيا حملة بقيادة اللورد ولسلي لانقاذ غوردون، وقد فشل ويلسلي بهذه المهمة لان غوردون لم يتحمل الجروح وتوفي، ونجح الأنصار في هجومهم على المدينة واحتلوها، وبمقتل غوردون لم يبق للحملة البريطانية هدف فعادت أدراجها مسرعة إلى الشمال[3].

لقد كان لسقوط الخرطوم بين يدي المهدي آنذاك، أن أصبحت السودان بعد انسحاب ولسلي في قبضة الحركة المهدية، ودخل المهدي العاصمة وأقام صلاة الجمعة في الخرطوم، ويبدو أنه قرر في بداية الأمر اتخاد الخرطوم عاصمة له، فأعد له منزلا خاصا كبيرا كما أعدت منازل أخرى لكبار أنصاره، ولكن سرعان ما تغيرت خطة المهدي فقرر إنشاء عاصمة جديدة في السهل الواقع شمال قلعة أم درمان، وبناءً عليه نقلت قوات المهدي في أبو سعد وأقيم مسجد ومنزل بسيط للمهدي وضباطه، ومارس المهدي لبضعة أشهر سلطته من أم درمان. هذا وقد ترتبت عن سقوط الخرطوم ومقتل غوردون ردود فعل داخل الحكومة البريطانية تمثلت في سخط الرأي العام واتهام الحكومة بالمسؤولية عن مقتل غوردون[4].

---

[1] نعوم شقير: المصدر السابق، ص 437.

[2] **المتمة:** مدينة تقع في نهر النيل بشمال السودان وتبعد عن العاصمة الخرطوم بمسافة 14,14 ميل: أنظر محمد مهري كركوكي: المصدر السابق، ص 314.

[3] محمد إبراهيم أبو سليم: المصدر السابق، ص 70.

[4] ب.م.هولت: المصدر السابق، ص 122.

وبالتالي شكل سقوط الخرطوم نقطة تحول هامة في مسار ثورة المهدية، وأدركت الحكومة المصرية والبريطانية أنه لا جدوى من البقاء في السودان بعد الهزائم التي منيوا بها والانتصارات التي حققها المهدي[1].

3-وفاة المهدي:

يبدو أن الأيام لم تتح للمهدي الفرصة لتحقيق أهدافه الكبرى في إقامة دولة إسلامية تعيد تجذر تعاليم الإسلام في البلاد[2]. ففي ليلة الأربعاء الرابع من شهر رمضان من عام 1302هـ/1885م أصيب المهدي بأعراض حُمّى، ثم واشتدت عليه الحُمّى أكثر وجيء له بأطباء من مصر، فقرروا أن الحُمّى من التيفوس وأن حالته خطرة ووضعوا له العلاج[3]، ولما خرجوا من منزله قالوا لمقربيه أن حالته لا شفاء لها.

وفي صبيحة يوم الجمعة أمر المهدي وزيره عبد الله التعايشي أن يخلفه في صلاة الجمعة، خلافا لعادته فإنه كان يستخلف في الصلاة من غير الخليفة علي ود حلو كثيرا ما كان يستخلفه رجلا من أهالي بربر اسمه أحمد الجعلي، فقيل له أن الخليفة عبد الله أمي لا يعرف الكتابة والقراءة فكيف يخاطب الناس، فقال لهم ادفعوا له ورقة الخطبة ومروه فليقرأ منها كلمتين، فقدموا له الورقة وخاطب الناس وصلى بهم' وفي يوم الأحد اشتدت وطأة المرض على المهدي، وفي يوم الاثنين التاسع من رمضان عند أواخر الساعة الرابعة الموافق لـ28 جوان من سنة 1885م فاضت روحه وهو ملقى على الأرض محاطا بخلفائه وعائلته، فلم يعش المهدي طويلا بعد سقوط الخرطوم[4].

توفي المهدي عن عمر لا يتعدى واحدا وأربعون عاما، وخلال هذه الفترة حقق المهدي انتصارات رفعت من شأنه وشأن دعوته، وكان لقوة شخصيته الدعامة الأساسية في الدعوة للمهدية، كونها خاطبت أهل السودان لاسيما في تلك الظروف والأوضاع التي كان يعانيها الأهالي في وطنهم وفي أرضهم وشعورهم بالظلم والقهر، جعلهم يأملون بظهور شخص يقوم بتغيير هذه الأوضاع وتحسين ظروفهم[5]، وهذا ما وجدوه في المهدي الذي تميز عن غيره بتبني مطالبهم، إضافة لما يتمتع به من صفات ومزايا جعلت

[1] إبراهيم فوزي باشا: المصدر السابق، ص 397.

[2] ضرار صالح ضرار: المرجع السابق، ص 175.

[3] إبراهيم فوزي باشا: المصدر السابق، ص61

[4] عبد الله عبد الرزاق إبراهيم: شوقي عطاء الله الجمل: المرجع السابق، ص 325.

[5] إبراهيم فوزي باشا:المصدر نفسه، ص 61-63.

الناس يتبعونه، خاصة وأن له نسبا شريفا زاد لدعوته قبولا ونجاحا كبيرين، وساعده أيضا استهانة واستخفاف الحكومة من شأن دعوته في بادئ الامر ولم تعطها أي اهتمام، كما كان للثورة العُرابية سبب في إرهاق الخزينة المصرية، وهذا ما جعل الحكم الجديد يضعف وهو ما ساعد المهدي في نجاح دعوته ونجاح ثورته وتوحيد السودان.

المبحث الثاني: عبد الله التعايشي خليفة لأحمد المهدي

1-مولده ونشأته :

ولد عبد الله التعايشي في جنوب دارفور في سنة 1846م، وهو الابن الأكبر لمحمد علي الكوار، وله أربعة إخوة وكان جده يعلم أفراد القبيلة التعايشية القرآن، فطاب له المقام فاستقر بدار التعايشية وتزوج منهم، ولكن سرعان ما نشب خلاف حاد بين الجد عبد الله وزعماء قبيلة التعايشية ومن ثم اتجه والده السيد محمد شرقا وأقام زاوية بدار الرزيقات[1].

لقد كان ينتمي عبد الله التعايشي إلى قبيلة التعايشية أحد أفخاذ قبائل البقارة، وهي القبائل التي اشتهرت بعد دخول العرب إلى دارفور في القرن الرابع عشر، وقد نشأ عبد الله بن محمد في جو ديني حيث اشتهر والده بالورع والتقوى والصلاح، وكان صاحب كلمة نافذة وعليه نشأ أولاده من بعده نشأة دينية[2]، وقد أشار له والده بان يلجأ إلى بعض المشايخ على النيل ليدرس على أيديهم ثم يهاجر إلى مكة، وعندما نشبت الحرب بين الرزيقات والزبير[3] في سنة 1873م، أسر عبد الله وكاد يقتل لولا أن اعترض العلماء على أمر الزبير بإعدامه، بحجة أن الشرع لا يجوز له قتل أسير من أسرى الحرب، لذلك عفا عنه الزبير أمام هذه الاعتراضات.

---

[1] الفحل الطاهر الفكي: **تاريخ أصول العرب بالسودان**. د. د. ن.، الخرطوم، السودان، 1971م، ص 94.

[2] سبنسر تريمنجهام: **الإسلام في السودان**. تر.: فؤاد محمد عكون، المجلس الأعلى للثقافة، ب.د.ب، 2001م، ص 381.

[3] **الزبير باشا:** ولد في 08 يوليو 1821م، يعتبر أهم شخصية سودانية إمتلك الكثير من الرقيق، وأمدهم بمختلف الأسلحة وكون منهم جيشاً خاصاً إستطاع بفضله أن يؤسس مملكة لنفسه وأن يهزم به عرب الرزيقات، وكان مخلصاً للحكومة المصرية حيث قام بحملة على دارفور بجيشه الخاص دون مقابل من الحكم المصري، أنظر: عز الدين إسماعيل: مرجع سابق، ص 312-313.

فقررت بعدها عائلة عبد الله الذهاب إلى الحج خلال الفترة التي أعقبت زحف سلطة الخديوي على دارفور في سنة 1875م، حيث توفي والد عبد الله وكانت قبيلته لا تبعد كثيرا عن جزيرة أبا، فتواردت الأخبار عن شيخ يدعى محمد أحمد الذي اشتهر بالزهد والتقوى، وهنا بدأ عبد الله رحلته سائلا عن محمد أحمد وعن مكان وجوده، ثم علم أن محمد أحمد قد ذهب لبناء قبة على قبر الشيخ القريشي ود الزين بمدينة المسلمية، وحينما وصل عبد الله إلى هناك ورأى المهدي أغمي عليه مرتين، وعندما عاد إلى وعيه حيا محمد أحمد باسم المهدي، فاندهش بذلك وظن أن الرجل مصاب بالجنون، غير أن عبد الله بادره بقوله: "**إنك المهدي المنتظر وأنا سأكون وزيرك**" وتذكر الروايات أن عبد الله هو أول من أسر إليه بأنه المهدي المنتظر[1].

2-تولية عبدالله التعايشي الحكم:

قبل وفاة المهدي أطلق على وزيره عبد الله التعايشي لقب "خليفة الصديق"، ومنحه الكثير من الصلاحيات أثناء حياته وأطلق يده في كثير من الأمور الإدارية، فكان بمثابة رئيس وزراء يحكم ويدير البلاد، وكان في دستور المهدي أن الخليفة عبد الله هو الذي سيتولى الحكم في حالة وفاته[2]. وبعد دفن المهدي عقد الخليفة عبد الله التعايشي مجلسا مع بعض الأمراء والأعيان، وخاطبهم قائلا: "يا أيها الإخوان المهدي الآن قد مات، ولكن مات النبي من قبله وقام الخلفاء من بعده فأتموا عمله، وقد ترك الخلفاء يتولون الأمر من بعده وأنا خليفته الأول، فمن أحبه وآمن به فقد أصبح على خطاه "[3].

أما الخليفة شريف ابن عم المهدي وقومه الأشراف فقد حاروا في أمرهم ولم يدروا ما يفعلون، وقالوا في أنفسهم؛ لقد مات المهدي وأسس مهديته فلماذا تولى علينا عبد الله التعايشي وهو غريب عنا، وعندئذ قام الخليفة علي ود حلو وبعض كبار فقهاء الدولة وعلمائها الذين حضروا الوفاة بمبايعة عبد الله كما

[1] سالم بابكور: "أوضاع السودان في عهد عبد الله التعايشي". **بحوث تاريخية**، ع. 145، السعودية، نوفمبر 2000، ص 20.

[2] ضرار صالح ضرار: المرجع السابق، ص 177.

[3] نعوم شقير: المصدر السابق، ص 641.

أسماه المهدي[1]، ثم جرت مبايعة العامة في مسجد أم درمان، وهذه هي صورة المبايعة "بايعنا الله ورسوله ومهديه، وبايعناك على طاعتك والانقياد إلى حكمك"[2].

ثم بعث الخليفة إلى أمرائه وجميع قبائل السودان في الجهات الأربع لتجديد البيعة له، ودعا أهل الجهات البعيدة إلى حضور عيد الأضحى في أم درمان في 20 ديسمبر 1885م، فاجتمع عنده في هذا العيد خلق كثير وحضره أهل الجهات القريبة وقبل العيد بايعوه وعادوا إلى بلادهم.

قام التعايشي بعد وفاة المهدي بتوزيع منشورات في جميع البلاد "بان المهدي قد مات وانه قام في الأمر بعده، وقال إن موت المهدي يزيدنا احتقارا لهذه الدنيا وحب الموت في سبيل الله"[3]. كما ركز عبد الله بعدما عينه المهدي على هيمنة الإدارة المركزية في "أم درمان"، فهو الذي يعين الحكام في المديريات ويشرف على بيت المال وعلى أعمال القضاء ويعين الجيوش، واستعان الخليفة في تصريف شؤون الدولة بأخيه يعقوب الذي كان ملما بالقراءة والكتابة على عكسه هو، وعمد الخليفة عبد الله إلى مبدأ تجريد الخلفاء الآخرين من كل نفوذ وسلطة مما أدى لثورتهم عليه، كما نشر عيونه وجواسيسه في كل مكان وقضى على كل من شك في ولائه له[4]، وقام بكثير من التعديلات في تنظيم دولته وكان سيرها كما يلي:

7- في الجانب الإداري: قسم الخليفة عبد الله السودان إلى ست مقاطعات "عمالات"، وعين على كل منها "عاملا" أو "اميرا" ومن أشهر الأمراء نجد "عثمان دنقة[5]" في السودان الشرقي، و"عبد الرحمان النجومي" في السودان الشمالي.

8- في الموارد المالية: كانت العشور والزكاة هي أهم موارد الدولة على أنه في كثير من أجزاء السودان كان الأمر عبارة عن جمع للمال بقدر ما تسمح به الظروف،

9- الجانب الاقتصادي: لقد أصاب الاقتصاد السوداني كثير من التدهور، فمساحات واسعة من الأرض على ضفتي النيل تركت بورا، وحتى الصمغ الذي كان ينتج بكثرة في كردفان

---

[1] نعوم شقير: المصدر السابق، ص 643.

[2] المصدر نفسه، ص 644.

[3] نعوم شقير:المصدر السابق، ص 646.

[4] ضرار صالح ضرار، المرجع السابق، ص 177.

[5] **عثمان دنقة:** ولد في سنة 1840م، عمل بالتجارة، ولما قامت الثورة المهدية إلتحق بالمهدي وأخذ عنه البيعة في الأبيض، وعين أميراً على شرق السودان: أنظر: محمد إبراهيم أبو سليم: الحركة الفكرية في المهدية، المصدر السابق، ص 27.

انخفض محصوله لهجرة كثير من قبائل كردفان وتمركزهم في أم درمان، وقد فتكت الأوبئة بعدد كبير من الأهالي أيضا.

10- المواصلات: كانت صعوبة المواصلات بين الأماكن البعيدة وقصر الحكومة في أم درمان من الامور التى جعلت ولاة الأقاليم البعيدة شبه سلاطين أو ملوك مستقلين بأقاليمهم.

11- السلطة القضائية: عهد بالسلطة القضائية للأشخاص يحكمون وفق الشرع الاسلامي بقدر فهمهم له، ولكن القضايا التي تمس أمن الدولة كان يفصل فيها الخليفة بنفسه[1].

أوضاع الدولة المهدية أثناء حكم الخليفة:

1- **الإدارة المركزية:** كانت أم درمان قلب حكومة المهدية وعاصمتها وقد أطلق عليها إسم البقعة وهو تعبير يطلق على الأماكن الأولى للإستقرار.

مما يلفت النظر إلى التنظيم الذي تم به توزيع العناصر البشرية بين الأعمال المحتلفة، ففي بيوت المال المركزية الأربعة إذا إستثنينا الأقسام الملحقة بها مثل شؤون المراكب وصك النقود والمطبعة.

ويوجد فيها 12 عامل من الشمال و10 مصرين من القبط أو المولدين و4 فقط من أصول أخرى أحدهم أمين بيت مال الحرس الخاص الذي كان من التعايشية.

وكانت أهمية للجعليين أهمية خاصة في إدارة بيوت المال.

ولم يكن العنصر الجاعلي بارزاً في الوظائف الفرعية، وفي المكتبة كان المشرف عليها واحد من كتبها الدناقلة[2].

2- أما النظام الصناعي كانت الهيئة القائمة بالعمل في الورش المحيطة بدار الصناعة لإنتاج الذخيرة وإصلاح الأسلحة كلها بدون إستثناء من المصريين.

ويبرز العنصر السوداني بين الفنيين العاملين بالترسانة حيث يصل عددهم من 29 إلى 47 عاملاً بينما كان الباقون وعددهم 17 من المصريين الأقباط.

[1] عبد الله عبد الرزاق إبراهيم: شوقي عطاء الله الجمل: المرجع السابق، ص 329.

[2] سلاطين باشا: المصدر السابق، ص 187.

3- أما نظام التعليم: فقد أقي الخليفة لبضع سنوات على نظام التلمذة الذي أشرف بمقتضاه المصريين والمولدين الفنيون ممن حصلوا على تدريب في العهد السابق على إعداد جيل جديد من المتعلمين والمثقفين.

وقد إحتاجت الإدارة المركزية لخدمات عدد كبير من الكتاب، وهناك حقيقة تبرز أنه ربع إلى ثلث الموظفين في الأقسام الرئيسية كانوا ممن سبق لهم العمل في الحكم المصري، وكثير منهم شغل وظائف مماثلة خلال العهدين وفي كلا الحكومتين والإستثمار في هيئات العاملين بين العهد المصري والمهدي أكبر بكثير.

ومع أنه كان إنقطاع أو إستبعاد مؤقت لمثل هؤلاء خلال مرحلة جهاد المهدية إلا أنهم أعيدوا لأعمالهم خلال حكم الخليفة، ومن الواضح أيضاً أنّ الحكم التعايشي إعتمد حتى في أوجها على القبائل النهرية والمولدين في القيام بالأعمال الروتينية في تحرير المراسلات التي إعتمدت عليها إدارتها فالخدمات البرقية شغلها كلها رجال سابقون دون تغير[1].

4- الإقتصاد.

كانت الصورة الإقتصادية للسودان خلال حكم الخليفة قائمة، فقد إستنزفت الزراعة في سبيل إعداد التنظيم العسكري، بما إحتاج إليه ولم يتولى أمره المحصلون أو الخارجون عن النظام وقلبت التعبئة القبلية والهجرة الإجبارية للسكان التوازن الإقتصادي، فقد طرد مزارعون الجزيرة جزئياً من أراضيهم، والتي وضعت في أيدي البقارة المهاجرين.

وقد فشلت الإجراءات التي إتخذها "عبد الله" من حين لآخر لمنع الإضرار بالمزارعين، وحاول العمل خلال تعليمات أصدرها لعماله وأن تعذر عليه ضبط سلوك وكلائه العسكريين وموظفيه ويوضح الموقف خلال المرحلة الأخيرة من الحكم تلك المراسلة التي بعثها محمود أحمد والخليفة فقد مسحت شواطئ النيل وجزر من المتمة وشندى شملاً بواسطة قواته بحثاً عن الغلال.

ومع تزايد الأزمة إتجهت بعض الفروع جنوباً مع الشاطئ الشرقي الصاعد حتى الإقليم الموجه لأم درمان ووقفوا عاجزين أمام الأنصار الجياع ممن يحملون السلاح، ولم يكن في الإمكان وضع حد لسلوكهم العسكري الذي صنعته يداه.

[1] ب.م هولت: المصدر السابق، ص 283.

أدرك الخليفة أهمية الزراعة وضرورتها وحاول أن يحد بشدته من عنف قواته ومن محصلي الضرائب وإن لم يصب في ذلك سوى قليلاً من النجاح[1].

5- التجارة:

لم تحد التجارة منه إلا القدر القليل من التعاطف والمعونة فعبد الله بصفته منتسباً لقبيلة رعوية إتصفت بالتأخر والعزلة وأكدت إتجاهاته الدينية تفكيره العقلي حيث كان يرى كل تعامل تجاري مع الدولة المصرية مكروه وأن الإتصال بهم يكون عندما يدخلون المهدية.

وذلك ورغم العقبات ضلت التجارة مستمرة وقد وجدت ثلاثة طرق تجارية أحدها يسير بربر شمالاً إلى الحدود المصرية في كورسكو أو أسوان، والثاني يمر بربر شرقاً إلى سواكن، والثالث يخترق كسلا إلى مصوع.

وكانت تجارة سواكن أكثر قيمة مما ساعد على إعادة التوازن ففي ذات الفترة بلغت قيمة صادرات سواكن 9090 جنيه وارداتها نذكر أن أهم الواردات خلال 1890م كانت السكر والبن والزبدة والزيت والعطور بخلاف المهربات من الدخان والأفيون وأحياناً الذرة وحتى الدقيق من سواكن بصفة مستمرة قبل غلق أبوابها، أما أهم صادرات السودان فكانت الصمغ وسن الفيل.

ومن معوقات التجارة أنه حتى قبل أن تكون التجارة الخارجية مفيدة سواء من قبل الخليفة أو السلطات الإنجليزية المصرية فإن عوامل عدة ثبطتها.

فموقف التجار الأجانب كان شائكاً فتجارتهم بل حتى أرواحهم كانت تحت رحمة الموظفين المحليين والظرائب كانت عالية.

بالإضافة إلى العشور وهي دفع ضريبة قدرها10% تدفع في سواكن بربر وفي كسلا والقضارف وكان التجار يستخرجون شهادة بما دفع كزكاة وعند وصول البضائع لأم درمان يدفع"عشر" آخر هناك.

والعامل الثالث الذي أعاق التجارة هو عدم وجود عملة والذي تسبب في أزمة فعلية في أوائل حكم المهدية، وكانت العملات المتداولة متنوعة منها الريال الإسباني والنمساوي، وقد حاول الخليفة في أوائل

[1] محمد محجوب مالك : المرجع السابق، ص 250.

عهده متبعاً في ذلك سنة المهدي، علاج مشكلة العملة بإعلان سريان قيمة العملة رسمياً وفقاً لما هو مدون عليها بصرف النظر عن قيمتها الفعلية، وقد إزداد الموقف سوءاً في الأعوام التالية مع توالي التدهور في العملة المهدية، هو أن إستبدال الفضة بجانب أكبر من خليط معدني في صناعة العملة مما أدى إلى زيادة هبوط فيها حتى إقتصر إستخدام الفضة على مجرد طلاء خارجي سرعان ما يصيبه التآكل[1].

6- القضاء.

يبدو أن محاولة بذلت في عهد عبد الله لإعادة تنظيم القضاء فعندما فقد الأشراف مركزهم الممتاز وجد قاضي الإسلام ، وقد إزدادت وظيفته قوة، مارست محكمة أم درمان (محكمة الإسلام) مهاماً عدة بالإضافة إلي إختصاصها الخاص بالفصل في الشؤون القضائية المحلية فنظرت في الحالات التي أحالهاّ إليها الخليفة بالإضافة إلى شكاوي الأفراد العاديين من خارج العاصمة والحالات التي كانت ترسل للمحكمة من قبل الخليفة في الشكاوي التي كانت تقدم إليه في أمور لها صلة بالشرع والقانون كثير من الأوراق والمستندات الباقية تمثل عرائض موجهة لنائبه[2].

المبحث الثالث: الحركة المهدية في عهد الخليفة عبد الله التعايشي

1-تمرد الأشراف: إن الطوائف التي دخلت في المهدية وقبلت بما كانت تنادي به من أفكار، إنحازوا للمهدي تحت تأثير شخصيته الجذابة، لكنهم شعروا باليأس حينما توفي المهدي، وأصبحوا يطيعون الآن خليفته ليس حبا فيه وإنما لعقيدة وإيمان الدعوة وانقيادا للحكم فقط.

فبمجرد استلام الخليفة عبد الله الحكم، شعرت القبائل السودانية التي تسكن على النيل بأن السلطة قد خرجت من أيديهم، ليجدوا أنفسهم تحت حكم رجل لا يكنون له الاحترام الكبير لأنه لا يمتاز عنهم بشيء، وأقل منهم في كل ناحية وخاصة العلم والرقي[3]، ومنذ ذلك الحين انقسم السودانيين إلى قسمين:

[1] ب.م. هولت: المصدر السابق، ص 288.

[2] سلاطين باشا: المصدر السابق، ص 199.

[3] محمد مالك محجوب: المرجع السابق، ص ص 217-218.

12- سكان النيل وسكان الغرب الذين يسكنون في غرب السودان، وكانوا زعماء النيل وهم من الأشراف والدناقلة والجعليين زعماء العرب هم من البقارة وبقية من ناصرهم من هناك، وتولى عبد الله الحكم في وقت كثرت فيه المشاكل الداخلية والخارجية، وكانت أولى تلك المشكلات هي مشكلة الولاء، فقد عرف منذ اللحظة الأولى أن الأشراف ليسوا راضين به، وعلى رأسهم الخليفة شريف الذي لم يكن راضيا في مبايعته، وأنه لولا الظروف الحربية التي أحاطت بالموقف لما قبلوا بيعته[1]. وللخليفة راية حربية عظيمة وكانت تحت إشرافه عدد كبير من قادة المهدية وعلى رأسها الأمير عبد الرحمن النجومي، بالإضافة إلى كل رجال الغرب.

13- أما الأشراف فكان يهمهم تحقيق حقوقهم وأطماعهم في الحكم، وبقوا مع الخليفة عبد الله لزيادة تقوية مركزهم الحربي بالعاصمة، وتجميع القوات العسكرية فيها لضرب الخليفة عبد الله .

وفي عام1891م وصل تذمر الأشراف في أم درمان إلى درجة دبروا فيها خطة للتخلص من الخليفة، والسبب في ذلك أن الأشراف فقدوا كل الوظائف الهامة في الدولة وأبعد الخليفة عبد الله كل المساندين للأشراف، وعديد مناصب بيت المال والقضاء، وعليه فقد أصبح الأمر كله بيد أولاد العرب، كما تعرض الخليفة شريف للاضطهاد وأبعد من المكانة التي كان يحظى بها في الخلافة، ولو أن هناك من يعتقد أنه هو الأحق فيها بسبب تقلد خلافة الكراري وأبناء المهدي، وبسبب سيطرة البقارة على الموقف فقدت القبائل النيلية نفوذها السابق وممتلكاتها وأراضيها الزراعية وأصبحت حمايتهم تحت رحمة البقارة[2].

واصل الخليفة عبد الله تضييق الخناق على الخليفة شريف وأهله، مما أثار سخط الأشراف أكثر فقاموا بجمعية سرية لقتل الخليفة عبد الله، لكن الخليفة علم بالخطة قبل تنفيذها وكشف سرهم وأخذ بدوره الاحتياطات اللازمة للتنكيل بالأشراف[3]، ولما علم الأشراف بأن سرهم قد انكشف سارعوا إلى القيام باعتداء مسلح على الخليفة عبد الله، واحتلوا قبة المهدي والمنازل المجاورة له[4].

[1] محمد إبراهيم أبو سليم:المصدر السابق، ص ص35-36.

[2] ضرار صالح ضرار: المرجع السابق، ص 190.

[3] محمد مالك محجوب: المرجع السابق، ص 220.

[4] نعوم شقير: المصدر السابق، ص 86.

قرر عبد الله التعايشي في ليلة 23 نوفمبر 1891م بوضع خطة للهجوم على الأشراف وإتبع خطة دفاعية ولم ييأس من فض النزاع بالطرق السلمية[1]. فأرسل وفدا إلى الأشراف برئاسة الخليفة على ولد حلو يدعوهم إلى الصلح وإجابة مطالبهم، ولم يقبل الأشراف الصلح وبدءوا الاعتداء بإطلاق النار على منزل الخليفة عبد الله فرد عليهم أنصار الخليفة، ورغم كل ذلك أعطى الخليفة للأشراف فرصة أخرى في وضع الشروط التي يريدونها، وبذلك تم الوصول إلى اتفاق يوم الأربعاء 20 نوفمبر 1891م، وتعهد الخليفة بوضع شروط الصلح كما طالب بها الأشراف، وهي العفو عن جميع المشتركين في التمرد، لكن الخليفة عبد الله لم يطمئن للأشراف وبعد 20 يوم من الصلح زج بمعاوني الحركة وقرر إعدامهم في فاشودة[2].

كان لهذا الفعل أن أثار غضب الخليفة الشريف لمقتل أنصاره وامتنع عن صلاة الجمعة، وبعمله هذا أعطى للخليفة عبد الله الفرصة في محاكمته والزج به في السجن في 2 مارس 1892م وهكذا انتهت قصة الصراع بين الخليفة والأشراف والتي كانت قائمة منذ حياة المهدي[3].

2-الثورات القبائلية:

رغم نجاح الخليفة عبد الله في تركيز السلطة المطلقة في يده إلا أنه كان يعاني من تجدد صراعات تقليدية بين القوات المحلية والقوة المركزية، والتي كانت لسببين هما:

أولهما أن المهدية بطبيعة أهدافها كانت ضد التنظيمات القبلية والإقليمية.

ثانيا إن القبائل كانت ضد سياسة الهجرات الجماعية للعاصمة.

وقد استمرت الثورات القبلية من بداية حكم الخليفة حتى سنة 1888م فتميز طابعها بالعصيان والدفاع المسلح، ويبدوا أن هذه الثورات كانت تهدف إلى البقاء بعيدا عن السلطة المركزية والاستقلال[4] عنها وكانت أولى القبائل الثائرة قبيلة الرزيقات؛ وهي قبائل غرب السودان التي كانت تجنح إلى الاستقلال عن الحكومة في كل العهود، فلما قامت الثورة المهدية ناصرها الرزيقات ولكن بتحفض إذ كانوا يريدون الاحتفاظ باستقلالهم القبلي في تلك المنطقة، وفي عهد الخليفة عبد الله شعر بأن عصيان زعيمهم مادبو

[1] نعوم شقير: المصدر السابق، ص 222.

[2] ضرار صالح ضرار: المرجع السابق، ص 192.

[3] محمد مالك محجوب: المرجع السابق، ص 222.

[4] ضرار صالح ضرار: المرجع السابق، ص ص 186-187.

للدولة أمر يثير المشاكل، لذلك أمر أحد معاونيه كرم الله كشاوي أن يعود من بحر الغزال لجباية قبيلة الرزيقات وزعيمهم، كما طلب من محمد خير كشاوي الذي كان حاكما على شلك آنذاك أن يتقدم إلى تأديب الرزيقات، وأمام هجوم جيش الخليفة انهزمت جموع الرزيقات وألقي مادبو في قبضتهم وأمر بإعدامه في فيفري 1887م[1].

3-قبائل الكبابيش:

استمرت قبيلة الكبابيش كذلك في حروبها للمهدية ولم يشأ زعيمها صالح فضل الله مبايعة الخليفة عبد الله، خاصة وأن المهدي كان قد أعدم أخاه في الأبيض بسبب عدم مبايعته وكانت تنتشر هذه القبيلة بين شمالي كردفان حتى الحدود المصرية غرب السودان، وتربطها بمصر مصالح اقتصادية تعتمد على التجارة التي تنقل من غرب السودان على إبلهم لصعيد مصر[2].

طلب الخليفة عبد الله من صالح فضل الله الحضور إلى أم درمان وأرسل إليه رسالة لكي يبايعه، ولكن صالح رفض وبدأ يتصل بالسلطات الانجليزية في مصر لكي تمده بالسلاح والعتاد والمال لكي يطيح بالخليفة عبد الله إذا ما قرر الهجوم عليه، وكان الأمير عبد الرحمن النجومي مسؤولا عن إدارة دنقلة ومراقبة الطرق بين غرب السودان ومصر، وشعر بالخطر الذي يدبر له الكبابيش كما كان عالما بالاتصالات التي كانت قائمة بينهم وبين الانجليز، ولما اقتربت القافلة المحملة بالسلاح حدود دنقلة أرسل النجومي عددا من الجنود للقبض على أفرادها والاستيلاء على ما فيها[3].

رأى الخليفة أن ولاء قبيلة الكبابيش وزعيمها أمر له أهمية، كما كان يريد أن يمنع نقل أخبار الدولة إلى أعدائه الانجليز، فأصدر الخليفة أمرا إلى كل عماله في غرب السودان بمنع الكبابيش من الحصول على الغذاء من الأسواق بكردفان، ومطاردتهم والقبض على زعيمهم واستطاع رجال الخليفة أن يقتلوه في ماي 1887م[4].

---

[1] محمد مالك محجوب: المرجع السابق، ص ص210-215.

[2] ضرار صالح ضرار: المرجع السابق، ص 188.

[3] ضرار صالح ضرار :المرجع السابق ، ص 189.

[4] محمد إبراهيم أبو سليم: المصدر السابق، ص 32.

4-خطابات الخليفة عبد الله للدول الخارجية:

واصل الخليفة عبد الله في إرسال خطاباته للخارج ففي العام 1887م، أرسل الخليفة عبد الله أربعة رسل بثلاثة خطابات لكل من السلطان عبد الحميد، والملكة فكتوريا، والخديوي توفيق، وفي هذه الخطابات دعوة صريحة لاعتناق المهدية قبل أن يقوم بإرسال جيوشه للقضاء عليهم[1].

وصلت رسالة الخليفة عبد الله إلى مصر من الحلفايا في يوم 12 أفريل 1887م، ومنها وصل إلى الخديوي في مصر و تم تسليم خطاب الخليفة له.

وفي خطاب الخليفة عبد الله للخديوي توفيق طلب منه اتباع المهدية وأن لا ينقاد لبريطانيا وأعوانها وأن يسلم للخليفة عبد الله وان يعمل تحت إمرته[2].

وفي خطاب الخليفة للملكة فكتوريا طلب الخليفة منها الدخول في الإسلام واعتناق المهدية في خطابه: "فإني أدعوك إلى الإسلام فإن أسلمت وشهدت أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله واتبعت المهدي عليه السلام وأذعنت لحكمي فإني سأقبلك وأبشرك بالخير والنجاة من عذاب السعير وتكوني آمنة ومطمئنة لكي مالنا وعليك ماعلينا"[3].

وفي خطاب الخليفة عبد الله للسلطان عبد الحميد أخبره عن الإمام المهدي والثورة التي قام باستغلالها في السودان، ثم تساءل الخليفة عن إحجام السلطان عبد الحميد وامتناعه عن اتباع المهدية، وكيف تطيب نفسه بالتعاون مع بريطانيا في دعوته للمهدية ولم يتيهب القوى العظمى في ذلك الوقت[4].

[1] عبد الرحمان الرافعي : المصدر السابق، ص 157.

[2] محمد سعيد القدال: المرجع السابق، ص 40.

[3] نعوم شقير:المصدر سابق، ص 101.

[4] مكي شبيكة: المصدر سابق ، ص 402.

الحروب الخارجية:

مع مصر:

سار الخليفة عبد الله على نهج الإمام المهدي في علاقاته الخارجية مع مصر كما أصبح يعد العدة للاستيلاء عليها، وكتب للقبائل الحدودية مع مصر يطلب منهم إعلان الثورة في مناطقهم، ومن المجموعات التي كتب لها الخليفة عبد الله قبائل "الجعافرة " المقيمين في سيناء، وذلك بعد شهر من وفاة المهدي، وكتب إلى قبائل الجعافرة وقبائل الكنوز وحثهم أيضا للانضمام إلى الحملة، وبدأت خطوة الخليفة عبد الله لغزو مصر واتجه إلى استخدام القوة المسلحة في علاقته بمصر، الأمر الذي ترتب عليه الكثير من الأحداث الداخلية والخارجية[1].

تحركت القوات السودانية تحت قيادة "النجومي" في ماي 1889م، فصعدت الحدود المصرية لكنه هزم وارتد إلى الداخل في انتظار الإمدادات الجديدة، وبوصولها تحركت قواته بسرعة نحو الحدود المصرية من جديد، وكانت الحكومة الانجليزية قد كلفت "فرنسيس جرنفيل سردار" على الجيش المصري بمباشرة الدفاع عن حدود مصر الجنوبية، وكان تحت يده ما يزيد عن الثلاثة ألاف جندي من مصريين وسودانيين وانجليز[2].

تقابل الطرفان المصري والسوداني عند بلدة طوكو في 11 فيفري 1891م فانهزم الخليفة شر هزيمة، وقتل قائد الحملة "النجومي" ومعه حوالي 1200 من الجنود وتم أسر 400 جندي آخر، وبهذه الهزيمة الساحقة تقهقرت قوات التعايشي، وفي السنة نفسها انتشرت في السودان مجاعة كبيرة وكان الخليفة التعايشي محاطا بالأعداء فلم يستطع تموين البلاد من الخارج [3].

---

[1] عبد الله عبد الرزاق إبراهيم : شوقي عطاء الله الجمل: المرجع السابق، ص 312.

[2] المرجع نفسه ، ص 312.

[3] عبد الغفار محمد علي: **أثر العوامل السياسية والاقتصادية في سقوط دولة المهدية (1881م-1898م)**. الأصداف للطباعة والإعلان، الخرطوم، 2014، ص 146.

مع الحبشة:

كانت حالة الصراع مع بلاد الحبشة منذ عهد المهدي، لأن المهدي كان يرغب في أن تصل الدعوة المهدية لكل بقاع العالم، ومن الأشياء التي أثرت بصورة مباشرة في علاقة المهدية بالحبشة، هو مساعدة الأحباش للحاميات على الحدود وتحديدا حامية القلابات، وبهذا العمل تصبح الحبشة قد دخلت الحرب ضد المهدية[1].

حيث كان الإيمان بالمهدية هو الرابط الوحيد الذي من الممكن أن يجمع المهدية بالحبشة، ويعتبر الإيمان بالمهدية هو الأساس الفكري لسياسة المهدية الخارجية، وقد وضح ذلك عندما طلب يوحنا ملك الحبشة توضيحا عن المهدية، فكان رد المهدي في خطابه له حاثا إياه على الإيمان به، وفي 1883م جاء في رسالته أنه من لا يؤمن به وبفكرة مهديته فقد كفر، وذكر له الملوك الذين قتلهم وهنا يوضح ليوحنا انتصاراته على الانجليز وفي الوقت نفسه هدده بأن مصيره لن يكون أفضل منهم إن لم يؤمن بالمهدية[2].

تطورت علاقات المهدية والحبشة وبدأت بوادر الحرب تنشأ بين الطرفين، وكان الخليفة عبد الله حسب التقديرات الداخلية لا يرغب في مواجهة الأحباش، وذلك بسب الوضع الداخلي والصراعات القبلية التي تعيشها دولته، وبعد تحسن الأوضاع الداخلية عين الأمير "حمدان أبو عنجة" عاملا على القلابات وتمكن من هزيمة الاحباش ودخول العاصمة[3].

لقد حقق حمدان ابو قرجة العديد من الانتصارات على الأحباش، وعمل على تحسين القلابات ضد الهجمات المحتملة من قبل الأحباش، لأن الملك يوحنا استنفر كل الأحباش بغرض تحقيق نصر على الأنصار واسترجاع القضارف، والقلابات، لكن استطاعت قوات الخليفة أن تهزم قوات الحبشة في واقعة القلابات في شهر مارس من سنة 1889م، والتي انتهت بمقتل ملك الأحباش يوحنا نفسه، وبهذا

[1] مكي شبيكة: المصدر السابق، ص ص404-403

[2] محمد سعيد القدال: نفس المرجع، ص 250.

[3] نعوم شقير: المصدر السابق، ص102.

الانتصار الذي تحقق عاد للمهدية قوتها على المستوى الداخلي وأصبح الأحباش يطلبون ود الخليفة، وبذلك تحولت العلاقة بين الطرفين من الصراع المسلح إلى مرحلة البحث عن المصالح المشتركة[1].

لقد انتهج الخليفة عبد الله مبدأ اللين مع الأحباش في حدود الدولة المهدية الشرقية، وفي 10 نوفمبر 1891م حدث تطور ملحوظ في علاقات المهدية بالحبشة، وذلك عندما أرسل بتيوه أحد زعماء الأحباش رسالة إلى الأمير أحمد علي أبدى له فيها استسلامه للمهدية، ورغبته الأكيدة في فتح الطريق التجاري بين القلابات ومدن الحبشة، وقد استغلت المهدية الصراع الداخلي في الحبشة ونتيجة لظهور الخطر الايطالي الذي أصبح يهدد الحبشة، وانشغاله بالمشاكل الداخلية اتجه الملك "منليك" إلى انتهاج سياسة يسودها الود مع المهدية، وفي سنة 1893م قام بتيوه حاكم حلفايا بإرسال الضريبة التي فرضها عليهم مع رسوله وهي عبارة عن 2000 ريال[2].

مع ايطاليا:

إحتل الايطاليون مصوغ وأخذوا يمتدون في الجنوب والغرب في إريتريا، وذلك بموافقة الحكومة البريطانية مما أدى إلى اصطدامهم مع الدراويش في ديسمبر 1893م، كما تمكن الايطاليون من احتلال كسلا في جويلية 1894م، وبقيت في أيديهم حتى سلموها للحكومة المصرية في ديسمبر 1897م، وأنهكت هذه الحروب قوى الخليفة التعايشي وأنصاره، بسب الحروب الداخلية من جهة، والحروب الخارجية من جهة أخرى، ورغم ذلك فقد تمكنت المهدية من مهاجمة القوات الايطالية في الملوبة في عام 1895م وتمكنوا من قتل القائد الايطالي[3].

حملة إعادة الغزو البريطاني المصري للسودان:

وفي 12 مارس 1896م بدأ التخطيط لحملة إعادة غزو السودان وتمت على مرحلتين؛ **الأولى** عندما زحف كتشنر جنوباً لإحتلال دنقلة وكان يعاونه نخبة من كبار الضباط، أما الجنود في تلك المرحلة فكانوا من المصريين، وانهزم جيش المهدية في أول لقاء لهم مع الجيش المصري البريطاني، ثم احتل

[1] محمد سعيد القدال: مرجع سابق، ص 273.

[2] عبد الغفار محمد علي: مرجع سابق، ص 196.

[3] عبد الرزاق عبد الله إبراهيم : شوقي عطاء الله الجمل: المرجع السابق، ص 322.

كتشنر مروى ودنقلة دون عناء، وعاد كتشنر بعد زيارة لبريطانيا ليبدأ الاستعداد للغزو الشامل للدولة المهدية[1].

وفي الجهة الأخرى بنى الخليفة خطته على استدراج الجيش الغازي للتوغل داخل السودان، مع الاستعداد الكامل لملاقاته على أبواب أم درمان، وزحف محمود ود أحمد بجيشه وتمركز في المتمة بعد مذبحة الجعليين، إثر عدم استجابتهم لأوامر الخليفة عبد الله بإخلاء المتممة وبعد انسحاب الجيش من بربرة أصبح قاعدة أمامية وأدى تقوية حامية بربرة إلى تقليص نفوذ المهدية في تلال البحر الأحمر، وفي مطلع أفريل وصل محمود بجيشه إلى النخيلة شرق بربرة، ودارت معركة خسرها محمود ود أحمد بعد أن تفوق السلاح الناري[2].

وزحف كتشنر نحو أم درمان وعساكره في السهل ما بين جبل كراري وجبل سركاب، وجهزت البواخر النيلية بمدافع، وبدأت المعركة في 02 سبتمبر 1898م بهجوم من الأنصار كان جزئياً، إلا أن الأسلحة النارية لعبت دوراً فتاكاً وانهزم جيش الخليفة، وقذفت القوات الغازية قبة الإمام المهدي بالقنابل وقد كان المراد من هدم القبة منع قدوم الأنصار لزيارتها[3].

وفي 04 سبتمبر عبر كتشنر النيل إلى الخرطوم وأعادها عاصمة للسودان، وأقيم احتفال رفع فيه العلم البريطاني والعلم المصري، والمعنى من ذلك أن يكون للسودان وضع خاص مختلف يهدف في جوهره إلى فرض السيطرة الحقيقية لبريطانيا في السودان، وإقامة نوع من الإدارة يتولى فيها الإنجليز والمصريون الدفة. هذا ولم تنته الدولة المهدية بمعركة كيراري، فقد التجأ الخليفة إلى الغرب وسار إلى جبل قدير، وبعد الخريف تحرك من قادير شمالاً قاصدا أم درمان، فأرسلت إليه القيادة البريطانية حملة دارت بينهما في معركة أم دبيكرات بالقرب من موقع كوستي الحالي، انهزم فيها الخليفة وقتل وبعد أسبوع من معركة كيراري ذهب كتشنر إلى فاشودا، وهنا رفع العلم المصري بعد مقاومة من ماري شندى، ورفض الفرنسيون الإنسحاب ودارت معركة دبلوماسية بين البلدين انتهت بتنازل فرنسا عن منطقة أعالي النيل

[1] ب.م هولت : المصدر السابق ، ص 259.

[2] حمزة ميمونة ميرغني : تاريخ السودان الحديث، ط1 ، منشورات جامعة السودان، الخرطوم، 2007م، ص 41.

[3] المرجع نفسه ، ص 42.

لبريطانيا، وهكذا انتهت الدولة المهدية نتيجة ضعفها الداخلي وقوة بريطانيا في سلاحها الناري والدبلوماسية الاستعمارية[1].

وفي الأخير يمكن القول أن المهدي قد حقق إنتصارات كثيرة وتوفي عن عمر يناهز الواحد والأربعون سنة و تولى الخليفة عبد الله التعايشي الحكم وبدأ بتوسعات داخلية وخارجية ، وقد أنهك هذه الحروب قوى عبد الله التعايشي من الناحية المادية والبشرية، فمن ناحية إعتبرت إنسحاب القوات المصرية بمثابة الإنتصار الذي حققته الثورة المهدية في المرحلة الأولى إلا أن الدولة الإستعمارية وخاصة الأروبية إتبرت السودان بعد إخلائها ملكاً مباحاً لنهب ثرواتها وعلى رأسهم إنجلترا، فلم يستطع الخليفة تحقيق الإنتصار على هذه القوة بسبب تفوقهم في تجهيزات العتاد الحربي، وإرتفاع أفراد الجيش لإستعانة الإنجليز بالجيش المصري.

[1] حمزة ميمونة ميرغني: المرجع السابق ، ص 42.

خاتمة

الخاتمة

تعتبر الثورة المهدية واحدة من الثورات البارزة في تاريخ السودان، التي حدثت في أواخر القرن التاسع عشر بين القوات المهدية السودانية والقوات المصرية–البريطانية، وقد كان لظهورها عوامل سياسية وإجتماعية كثيرة، ساعدت على إبراز هذه الفكرة وتجسيدها في الواقع كفكرة دينية بالدرجة الأولى ومن ثم كحركة ثورية ويمكن إستخلاص ذلك مايلي:

يمكن القول أن الدول المهدية لم تستمر طويلاً بسبب الظروف المحيطة بها وافت المنية المهدي بعدما شرع في إعادة بناء دولته محاولاً جاهداً تخليص شعبه، وذلك ببناء الدولة المهدية، والتي لم تكن الظروف في صالحها ولم تسمح لها بالإستمرار بسبب التنافس على السلطة، كما أن عملية إحكام السيطرة على البلاد إستنزفت الكثير من موارد الدولة.

كانت النهاية لثورة المهدية عندما أراد الخليفة التوسع شرقاً بإتجاه الحبشة وشمالاً بإتجاه مصر، فكانت هذه الخطوة بمثابة كارثة للدولة، والتي إتخذت منها بريطانيا ذريعة بالتعاون مع الحكومة المصرية بحجة أن الخليفة أصبح يهدد أمنهم.

وفي سبتمبر 1896 أعادوا الغزو على أم درمان ولم تتمكن الدولة المهدية التصدي لهذه الجيوش التي تمتلك أحدث الأسلحة والمدافع والأعداد الهائلة من الجنود.

أنهى الغزو البريطاني المصري السوداني فترة الإستقلال الوطني القصيرة التي عرفها في ظل المهدية، ووقف تطور الحكومة وتطورها لتبدأ مرحلة جديدة في تاريخ السودان وفق الظروف السائدة في العالم لم تكن تسمح بقاء دولة إسلامية مستقلة في جزء من إفريقيا تتعرض لصراع الدول الأوروبية الإستعمارية.

وفي الأخير لا ندعي أننا بهذه الدراسة قد إستوفينا الموضوع حقه الكامل، بالقراءة والدراسة حول تاريخ هذه الحركة، فإن وفقنا فمن الله وإن أخطأنا فمن أنفسنا ومن الشيطان، والحمد لله على نعمة انتهاءً كما حمدناه عليها ابتداء.

البيبليوغرافية

القائمة البيبليوغرافية.

- **المصادر:**

1- باشا سلاطين: **السيف والنار في السودان**، مطبعة البلاغ،أم درمان، السودان، 1930م.

2- تريمنجهام سبنسر: **الإسلام في السودان**. تر.: فؤاد محمد عكون، المجلس الأعلى للثقافة، بلد النشر؟، 2001م.

3- شبيكة مكي: **السودان في قرن، 1819–1919م**. لجنة التأليف والترجمة، القاهرة، 1947م.

4- عبد الرحمان الرافعي : **مصر والسودان في أوائل عهد الاحتلال تاريخ مصر القومي سنة 1882–1892م**، ط 3، دار القومي للطباعة والنشر، القاهرة، مصر.

5- الفكي الفحل الطاهر: **تاريخ أصول العرب بالسودان**. د. د. ن.، الخرطوم، السودان، 1971م.

6- فوزي إبراهيم باشا: **السودان بين غرودون وكتشنر**، الجزء الأول، طبع على نفقة مؤلفه، إدارة جريدة المؤيد، الخرطوم، السودان، 1319هـ.

7- المقدم محمد بن إسماعيل: **المهدي**. ط. 8، الدار العالمية للنشر والتوزيع، الإسكندرية، مصر، 2004م.

8- مهري كركوري محمد: **رحلة مصر والسودان**. مطبعة الهلال، القاهرة، 1914م.

9- نعوم شقير ، **تاريخ السودان**. دار الجبل، بيروت، 1981م.

10- هولت ب.م: **المهدية في السودان**. تر: جميل عبيد،أحمد عبد الرحيم مصطفى، دار الفكر العربي، بيروت، 1987م.

- **المراجع:**

11- أبو خليل شوقي: **أطلس دول العالم الإسلامي جغرافي تارخي إقتصادي**، مطابع الهيئة العامة للكتاب، مصر، ب.ت.

12- أبو سالم محمد إبراهيم: **الحركة الفكرية في المهدية**، دار الطباعة، الخرطوم، السودان، 1970م .

13- أحمد عزة عبد الكريم: **تاريخ التعليم في مصر من نهاية حكم محمد علي إلى أوائل حكم توفي فاروق**،ج1، مكتبة مصر222،مصر.

14- إلياس الأيوبي: **تاريخ مصر في عهد الخديمي إسماعيل الباشا 1863–1879م**، مؤسسة هنداوي للتعليم و الثقافة، القاهرة، 2012م.

15- بركات داوود: **السودان المصري والسياسية البريطانية**، المطبعة السلفية، مصر ، 1924 م.

16- حسن عبد الله : **السودان من التارخي القديم إلى البعثة المصرية**، ج1، مؤسسة هنداوي للتعليم و الثقافة، القاهرة، 2012م.

17- حسين يوسف: **الدين والساسة في السودان**. ط01، دار الأرشيف، القاهرة، 2000م.

18- حمزة ميمونة ميرغني : **تاريخ السودان الحديث**، ط1 ، منشورات جامعة السودان، الخرطوم، 2007م.

19- خلاف عبد العليم: **كشوفات مصر الإفريقية في عهد الخديوي اسماعيل 1879م–1863م**. الهيئة المصرية للكتاب، القاهرة، 1999م.

20- روبرت أوكنولينز: **تاريخ السودان الحديث**. تر.: مصطفى مجدي الجمال حلمي صحراوي، المركز القومي، القاهرة، 2015م.

21- زينب الزبير الطيب: **دراسات سودانية**. جامعة الخرطوم ، د.ب، 2010م.

22- سمرنوف سيرجي: **الدولة المهدية من جهة نظر المؤرخ السوفياتي**. تر.: رياض، دار الجيل، بيروت، 1994م.

23- السنى بانقا: **أضواء النظام القبلي والادارة في السودان**، مطبعة الحكومة، الخرطوم، السودان، 1960م.

24- شاكر محمود: السودان. **المكتب الإسلامي**، بيروت، 1981م.

25- شبلي عبد الودود: **الأصول الفكرية لحركة المهدي السوداني ودعوته**. مكتبة الآداب، القاهرة، 2001م.

26- شبيكة مكي: **السودان عبر القرون**. دار الجيل، بيروت، 1991م.

27- شكري محمد فؤاد: **الحكم المصري في السودان 1820م-1585م**، دار الفكر العربي، 1974م.

28- صلاح محي الدين: **وقفات تاريخ السودان**، دار ومكتبة الهلال، بيروت، 1995.

29- ضرار صالح ضرار: **تاريخ السودان**. ط. 04، دار مكتبة الحياة، بيروت، 1968م.

30- طوسون عمر: **تاريخ مديرية خط الاستواء المصرية 1889م-1869م**. ج 1 ، مطبعة العدل ، الإسكندرية، 1937م.

31- عبد الصمد منصور عبد الفتاح: **العلاقات المصرية السودانية في ظل الاتفاق الثنائي 1899م-1924م**، الهيئة المصرية مصر1993م.

32- عز الدين إسماعيل: **الزبير باشا ودوره في السودان في عصر الحكم المصري**. الهيئة المصرية العامة، الخرطوم، السودان، 1998م.

33- عطاء الله الجمل شوقي، عبد الرزاق إبراهيم عبد الله، **تاريخ مصر و السودان الحديث و المعاصر**، دار الثقافة، القاهرة، 1997م.

34- علي الشامي صلاح الدين: **السودان دراسات جغرافية**، دار المعارف، الإسكندرية، 2002م.

35- عمر عمر: **السودان تاريخ مضطرب ومستقبل غامض**. مكتبة التمدن، بيروت، 2009م.

36- القدال محمد سعيد: **الامام المهدي أحمد بن عبد الله، 1844-1885**، ط1، دار الجبل بيروت، 1992م.

37- محجوب محمد مالك: **المقاومة الداخلية للحركة المهدية**. ط. 01، دار الجيل، بيروت لبنان، 1987م.

38- محمد علي عبد الغفار: **أثر العوامل السياسية و الإقتصادية في سقوط الدولة المهدية 1881-1898م**، الأهداف للطباعة و الإعلان، الخرطوم، 2004م.

39- مدني التوفيق : **تاريخ الصراع السياسي في السودان والصومال**، ط01، وزارة الثقافة، دمشق ،2012م.

40- مرسي فيصل محمد: **موجز تاريخ إفريقيا**. منشورات الجامعة مفتوحة،بنغازي ، ليبيا، 1970م.

41- مصطفى حسن حمدان الله: **التطور الاقتصادي والاجتماعي في السودان 1831م-1881م**، دار المعرفة، القاهرة 1985م.

42- مهدي راضي نوال عبد العزيز: **رياح الشمال دراسة في العلاقات المصرية السودانية من التاريخ الحديث والمعاصر**، المطبعة التجارية المدينة، الخرطوم، السودان، 1947م.

43- هريدي علي فرغلي: **تاريخ إفريقيا الحديث والمعاصر**. دار المعارف، القاهرة، 1985م.

44- يحي جلال: **تاريخ إفريقيا الحديث و المعاصر**، المكتب الجامعي الحديث،الإسكندرية، 1999م.

45- يحي جلال: **مصر الإفريقية و الأطماع الاستعمارية في القرن 19م**. دار المعارف، القاهرة، 1984م.

- **المجلات:**

46- بابكور سالم: "**أوضاع السودان في عهد عبد الله التعايشي**". الجمعية التاريخية السعودية بحوث تاريخية ،ع. 145، السعودية، نوفمبر2000م.

47- جاك إبراهيم جاك: "**الحريات الدينية في دولة المهدية بالسودان**"، مجلة دراسات افريقية، ع. 21، يونيو 1991م.

- **الموسوعات**

48- حامد الصديق: **علاقات المهدية الخارجية 1881م–1898م**. سبتمبر 2017م.

- **الرسائل الجامعية والأطروحات.**

49- إبراهيم بن سليمان: البحوث"**الحركة المهدية في السودان عقيدتها وآثارها**"، رسالة ماجيستير، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض، 1405هـ .

50- عثمان مامون ريهام: **غوردون حكم دار وحاكم عام للسودان 1874 م –1885 م**، إشراف سيد علي أحمد عثمان، رسالة ماجيستير، غير منشورة، كلية الآداب، قسم الدراسات العليا، جامعة النيلين، 2018م.

فهرس
الموضوعات

فهرس الموضوعات

شكر و عرفان	.....
إهداء	.....
إهداء	.....
قائمة المختصرات	.....
خطة الدراسة	.....
مقدمة	
مدخل	
لمحة تاريخية عن السودان.	
1- تسمية السودان وموقعها.	
2- المجموعات الإثنية في السودان	
الفصل الأول: الأوضاع السائدة في السودان قُبيل الحركة المهدية .	
المبحث الأول: الأوضاع الاجتماعية.	
1- العادات والتقاليد.	
2- التعليم	
المبحث الثاني: الأوضاع الإقتصادية.	
1- الزراعة.	
2- الثروات الحيوانية.	
3- تجارة الرقيق.	
4- نظام الضرائب.	
المبحث الثالث: الأوضاع السياسية	
1- تعين غوردون مديرًا لمديرية خط الاستواء 1874-1877م.	
2- سياسة غوردون داخل منطقة مديرية خط الإستواء.	
الفصل الثاني: إرهاصات ظهور الحركة المهدية في السودان.	
المبحث الأول: لمحة عن شخصية محمد أحمد المهدي	
1- مولده ونشأته.	
2- تعريف بالحركة المهدية.	

3- دعوته السرية والجهرية.	
4- الهجرة الى كردفان.	
المبحث الثاني: أسباب قيام الثورة المهدية.	
1- العقيدة الدينية	
2- الثورة العرابية	
3- العنف.	
4- الضرائب	
5- منع تجارة الرقيق.	
6- المحاباة.	
المبحث الثالث: وقائع الثورة.	
1- واقعة أبا02 أوت 1881	
2- واقعة راشدبك09 سبتمبر 1881م	
3- معركة يوسف الشلالي29ماي 1882م.	
4- حصار الأبيض وسقوطه جانفي 1883م.	
5- حملة هكس.	
6- أسباب نجاح الثورة المهدية.	
الفصل الثالث: الحركة المهدية بعد وفاة مؤسسها أحمد المهدي.	
المبحث الأول: سياسة غوردون لقمع حركة المهدي.	
1- غوردون وسياسة إخلاء السودان.	
2- حصار الخرطوم وسقوطها.	
3- وفاة المهدي.	
المبحث الثاني: عبد الله التعايشي خليفة لأحمد المهدي.	
1- مولده ونشأته.	
2- تولي عبد الله التعايشي الحكم.	
3- أوضاع الدولة المهدية أثناء حكم الخليفة.	
المبحث الثالث: الحركة المهدية في عهد الخليفة عبد الله التعايشي	
1- الفتنة الداخلية.	
2- الحروب الخارجية.	
- مع مصر.	

- مع الحبشة.	
- مع إيطاليا.	
3- حملة إعادة الغزو البريطاني المصري للسودان	
خاتمة	
ملاحق	
القائمة الببليوغرافية	
فهرس الموضوعات	